عدي بن الرقاع العاملي

١

حياته

هو ابو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي من بني عاملة ، وهم من عرب اليمن ينتهي نسبهم الى كهلان ثم الى قحطان ، نزحوا عن اليمن الى الشام مع من نزح من اليمانيين قبل الاسلام ، يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب : (ديار عاملة مجاورة للاردن وجبل عاملة مشرف على عكا من قبل البحر يليها ويطل على الاردن) ، ويقول أيضاً : (وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر) ، ويقول ابن خلدون في كتاب العبر : (إن بني عاملة بطن متسع ومواطنهم ببرية الشام) ويقول القلقشندي في صبح الاعشى : (ان بجبال عاملة من بلاد الشام الجم الغفير من بني عاملة) ، ونسب الناس عدياً الى الرقاع وهو جد جده لشهرته .

وقد زعم بعض النساب أن عاملة من معد بن عدنان وليست من قحطان ، ولكن عدياً نفسه يتولى الرد عليهم بقوله :

قحطان والدنا الذي ندعى له   وأبو خزيمة خندق بن نزار

وفي لغة عدي أيضا ما يصحح دعواه قال :

فانك والشعر ذو تزجي قوافيه   كمبتغي الصيد في عريسة الاسد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يريد (الشعر الذي تزجي قوافيه) وذو بمعنى الذي في لغة طيء، وطيء من قحطان .

نحن لا نعلم على التحقيق في أي سنة ولد عدي ولكن يغلب على الظن أن يكون مولده حوالي العقد الرابع من القرن الاول لان من أول ما روي عنه من الشعر أبياتا قالها في زمن يزيد بن معاوية وأنشده اياها . ويزيد بويع بالخلافة سنة ستين وتوفي سنة أربع وستين . فلا نكون مخطئين إذا قدرنا أن عديا كان وقتئذ شابا .

اما منزله فقد كان بدمشق كما نص على ذلك صاحب الاغاني . وقال أيضا « هو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم » ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام وعده محمد بن سلام الجمحي في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام .

نشأ عدي في دمشق عاصمة الدولة الاموية وكان هواه مع بني أمية (يمدح أحياءهم ويرثي أمواتهم) كما قال الوليد بن عبد الملك، ولا يقف عند هذا الحد بل يرى رأيهم ويقول بقولهم ويؤيد سياستهم ويتحمس لهم وهو سلم لمن أطاعهم وحرب على من عصاهم، ينصرهم بلسانه وسيفه لا عن رغبة بل عن رأي وعقيدة . قال يمدح عبد الملك ابن مروان بعد أن ظفر في الوقعة التي كانت بينه وبين مصعب بن الزبير وانتهت بمقتل مصعب بدير الجاثليق :

لعمري لقد اصحرت خيلنا ... باكناف دجلة للمصعب
فقدّمنا واضح وجهه ... كريم الضرائب والمنصب
أعين بنا ونصرنا به ... ومن ينصر الله لم يُغلب
فداؤك أمي وأبناؤها ... وان شئت زدت عليها أبي
وما قلتها رهبة إنما ... يحل العقاب على المذنب
اذا شئت نازلت مستقتلا ... أزاحم كالجمل الاجرب
فمن يك منا يبت آمنا ... ومن يك من غيرنا يهرب

أفلا ترى صدق اللهجة في قوله (وما قلتها رهبة ٠٠٠٠) فضلا عن بقية الابيات التي تنبئ بان الشاعر حارب في جيش عبد الملك ٠

فلما توفي عبد الملك وخلفه ابنه الوليد اختص عدي به ومدحه بقصائد من حر الشعر بقي منها قصيدتان مطلع الاولى :

عرف الديار توهما فاعتادها   من بعدما شمل البلى ابلادها

ومطلع الثانية :

طار الكرى وألم الهم فا كتنعا   وحيل بيني وبين النوم فامتنعا

وأبيات من قصائد خلد بها مآثره واشاد باعماله العظيمة كما مدح ابنه عمر بن الوليد فقربه الوليد وقدمه وكان يدعوه (شاعرنا) ٠ ولئن أحب عدي بني أمية عامة فلقد آثرالوليد منهم خاصة وأخلص في حبه كثيراً حتى تمنى أن يموت بجانبه فقال من قصيدة يمدحه بها :

عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده   وان نكون لراع بعده تبعا

ولكن هذه الامنية لم تتحقق فقد توفي الوليد وبويع بعده أخوه سليمان بن عبد الملك فاستقدم عديا وعاتبه ووصله واجتمع مرة عنده مع الفرزدق وجرير وكثير ٠ وتوفي سليمان وخلفه عمر بن عبد العزيز وعدي حي وقد ذكره بشعره إذ يقول :

لو لا اختياري أبا حفص وطاعته   كاد الهوى من غداة البين يعتزم

ولم يذكر صاحب الاغاني ولا ابن عساكر في التاريخ الكبير ولا ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ولا ابن قتيبة في الشعر والشعراء خبراً لعدي بعد عمر بن عبد العزيز الذي بويع بالخلافة سنة تسع وتسعين وتوفي سنة احدى ومائة فلا يبعد أن يكون عدي توفي في خلافته ٠

وكان تقدمه عند بني أمية أثار حسد الشعراء له فقد تعرض له جرير في مجلس الوليد بن عبد الملك فناقضه عدي ثم لم تتم بينهما مهاجاة لان الوليد منع جريراً من هجائه فهجاه جرير تعريضاً ولم يصرح باسمه خوفا من الوليد ٠ وهجاه الراعي فرد عليه عدي وكان كثير يبغضه لانه كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره ٠

وكان له بنت شاعرة اسمها سلمى فاتاه ناس من الشعراء ليهاجوه وكان غائباً فسمعت بنته وهي صغيرة فخرجت اليهم وقالت :

تجمعتم من كل أوب وبلدة ... على واحد لا زلتم قرن واحد

فافحمتهم · ويستدل من كنيته على أنه كان له ابن اسمه داود وسماه بعضهم دواداً ولا نعرف من خبره شيئاً · كما أن قوله : (فداؤك أمي وأبناؤها)
بنيُّ بان له اخوة خفيت علينا اسماؤهم ·

وله ديوان شعر ذكره ابن النديم في كتاب الفهرست · وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الادب ج ١ ص ١٠ أنه اطلع على ديوان عدي بن الرقاع وعده في جملة الدواوين التي اعتمد عليها في تأليف الخزانة · ولكن لا يعلم الآن مكان ذلك الديوان·

صفته واخلاقه

لم ينص أحد ممن ذكر ابن الرقاع على شيء من صفته غير ابن عساكر ، فقد ذكر أنه كان أبرص · ويصفه لنا عبيد الراعي الشاعر بانه قصير أوقص اذ يهجوه ويقول :

جُنادف لاحق بالرأس منكبه ... كأنه كودن يوشى بكلاّب
من معشر كحلت باللؤم اعينهم ... قُفْد الاكف لئام غير صُياب

جنادف أي قصير أراد أنه أوقص والكودن البرذون ويوشى يستحث والكلاب المهماز والقفد الكف مائلها والصياب السادة · والله يعلم مبلغ هذه الصورة من الصحة· على أن بعض أخباره التي أوردها صاحب الاغاني وابن عساكر مع البقية الباقية من شعره يمكن ان تصف لنا شيئاً من نفسه واخلاقه ·

كان عدي يفخر بما يفخر به فتيان العرب الحب والشجاعة والفصاحة وفي ذلك يقول :

فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة ... لي جاعلا يسرى يديَّ وسادها
وأصاحب الجيش العرمرم فارسا ... في الخيل أشهد كرها وطرادها
وقصيدة قد بت أجمع بينها ... حتى أقوم ميلها وسنادها

وكان وافياً لاصحابه في سرائهم وضرائهم لا ينحرف عنهم بانحراف الزمان والسلطان ، عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الاردن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به من أتاه متوجعا واثنى عليه فائتوني به فأتى عدي بن الرقاع وكان عبيدة اليه محسنا فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقاً ولكن الى الخيرات سباقاً جوادا
وكنت اخي وما ولدتك امي وصولا باذلا لي مستزادا
وقد هيضت لنكبتك القدامى كذاك الله يفعل ماأرادا

فوثب المتوكلون به اليه فادخلوه الى الوليد واخبروه بما جرى فتغيظ عليه الوليد وقال له أتمدح رجلا فعلت به ما فعلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين انه كان الي محسنا ولي مؤثراً وبي براً ففي أي وقت كنت أ كافئه بعد هذا اليوم ؟ فقال صدقت وكرمت فقد عفوت عنك وعنه لك فخذه وانصرف . وانصرف به الى منزله .

وكان شديد العارضة حاضر الجواب ، دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع فقال له الوليد اتعرف هذا ؟ فقال لا يا أمير المؤمنين ، فمن هو ؟ قال هـذا عدي بن الرقاع . فقال جرير : فشر الثياب الرقاع ، فممن هو ؟ قال من عاملة . قال جرير : أمن التي قال الله تعالى فيها عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية ثم قال :

يقصر باع العاملي عن الندى ولكن = العاملي طويل

فقال له عدي :

أأمك كانت اخبرتك بطوله أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال جرير : لابل أدري كيف أقول . فقال الوليد واللهليركبنك شاعرنا ومادحنا والراثي لاموالتا ، تقول هذه المقالة ؟ والله لئن هجوته لافعلن ولافعلن . فلم يصرح جرير بهجائه وعرض فقال قصيدته التي أولها :

حي الهدملة من ذات المواعيس

وقال فيها يعرض به :

أقصر فان نزارا لن يفاخرهم فرع لئيم واصل غير مغروس

وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
قد جربت عركي في كل معترك غلب الاسود فما بال الضغابيس

وكان عدي مدح الوليد بن عبد الملك بقوله :

عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده وأن نكون لراع بعده تبعا

فلما توفي الوليد وبويع بالخلافة لسليمان بن عبد الملك استدعى عديا فلما دخل عليه قال ان كنت لكارها لخلافتي · قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال حين تقول في مدحة الوليد :

عذنا بذي العرش ان نبقى ونفقده وان نكون لراع بعده تبعا

قال ابن الرقاع والله ما هكذا قلت يا امير المؤمنين ولكني قلت :

عذنا بذي العرش ان نبقى ونفقدهم وان نكون لراع بعدهم تبعا

قال او كذلك ؟ قال نعم · فوصله واذن له بالانصراف ·

ومن شعره ما يدل على انه كان تياها كثير الاعجاب والذهاب بنفسه قال من قصيدة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلمت حتى ما اسائل واحداً عن علم واحدة لكي ازدادها

واتفق ان عديا لما انشد الوليد بن عبد الملك القصيدة التي منها هذا البيت كان عنده كثير فلما انشد هذا البيت قال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك امير المؤمنين بان يسألك عن صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك فضحك الوليد ومن حضر ·

وروي عن محمد بن المنجم أنه قال : ما احد ذكر لي فأحببت ان اراه فاذا رايته امرت بصفعه الا عدي بن الرقاع قيل : ولم ذلك قال لقوله :

وعلمت حتى ما اسائل واحدا عن علم واحدة لكي ازدادها

فكنت اعرض عليه اصناف العلوم فكلما مر به شيء ولا يحسنه امرت بصفعه ·

وقد سماه جرير الشاعر المغرور حين عرض به فقال :

اني اذا الشاعر المغرور جربني جار لقبر على مران مرموس

ولكنه مع هذا الاعجاب بنفسه لم يقو على مصاولة جرير بل خانه فقد روي أنه

لما اجتمع بجرير عند الوليد بن عبد الملك وهدده جرير بالهجاء وثب عدي إلى رجل الوليد فقبلها وقال اجرني منه ٠

وإذا صح أن تكون الصفات التي ينعت بها الشاعر نفسه دليلاً على أخلاقه جاز لنا أن نقول إن عدياً كان جلداً لا يتضعضع لريب الدهر لقوله :

ونكبة لو رمى الرامي بها حجراً　　أصم من يابس الصوان لانصدعا
أتت عليّ فلم أترع لها سابي　　ولا استكنتُ لها شكوى ولا جزعا

وإنه كان حمولاً على نفسه غير سؤول لقوله :

فسترت عيب معيشتي بتكرم　　وأبيت في سعة النعيم سدادها

ومها يكن من مبالغة في هذه الصفات فانها تضرب بعرق إلى الحقيقة في نفس الشاعر ٠ أما هواه السياسي فقد كان مع بني أمية كما تقدم ذكر ذلك في حياته ؟

يتبع :　　خليل مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحث في اللغة العربية [1]

لا يعرف نواقص لغتنا العربية في هذا العصر إلا من عانى الترجمة منها واليها في موضوعات مختلفة زمناً طويلا ، خذ ابن الأثير وابدأ بترجمة بعض صحائفه مما يتعلق بالعصر العباسي مثلاً ، فإنك لا تلبث أن تقف حائراً أمام كثير من الألفاظ التي دخلت اللغة بتوسع حضارة العرب ، ولا تجد لتلك الألفاظ أثراً حتى في المطولات كاللسان والتاج ، كأن اللغة عبارة عن الشعر الجاهلي وما رواه الرواة من كلام أهل البادية ، وإن كل ما خرج عن ذلك هو من اللغو الذي لا يلتفت اليه ، أو كأن اللغة جسم مات بعد ذلك الدور فكفن بأكفان تلك الأشعار والألفاظ ، ودفن في قبور ضيقة من حديد بلا بعث ولا نشر ؛ وتناول كذلك كتاباً يبحث عن صناعة من الصناعات الحديثة في لغة أخرى وحاول ترجمته الى العربية ، فإنك تقف في ذلك الموقف نفسه وتأخذ منك الحيرة كل مأخذ ، فتتوقف في أكثر المصطلحات ولا تجد معجماً يهديك إلى ما يقابلها في العربية ، فتضطر أحياناً أن تخلق لها لفظاً من عندك أو أن تفيد معناها بألفاظ عديدة ، والأمر فوضى في يد المترجم وقد يحسن وقد يسيء .

ازداد نمو اللغة العربية بعد دوريها الجاهلي والإسلامي وتوسعت بما دخلها من مئات

---

(١) المجمع : كان الاستاذ زكي مغامز عضو مجمعنا العلمي قد أرسل قبيل وفاته هذا البحث إلى المجمع ، فعدَت عوادٍ حالت دون نشره ، واليوم ننشره تجديداً لذكرى فقيدنا الذي كان رحمه الله يحرص على ان ينشر في حياته ، وفيه من الآراء ما لا يوافقه المجمع عليه ، وقد أشير في التعليقات اليه .

الألفاظ الجديدة من أسماء المأكول والمشروب والملبوس والأثاث وتنوع أسباب المعايش ومصطلحات الصناعات والحرف والعلوم الإسلامية والدخيلة ، دع المصطلحات الإدارية والقضائية والعسكرية والمالية التي حدثت بعامل توسع الدولة كما هو معروف ، لان السلف الصالح من العرب قد نقلوا علوم الاوائل إلى لغتهم وتوسعوا فيها بالاختراع والابتكار ، واقتبسوا من الامم التي تقدمتهم في المدنية كل ما ليس عندهم ، وقد كتب علماء العرب كل ذلك في مؤلفات مخلدة ما زالت تشهد لهم بالذكاء المتكامل والجهاد العظيم في سبيل العلم فتوسعوا في اللغة وأفادوا بها كل معنى دخلها ووضعوا لكل علم مصطلحه وجعلوا كل ذلك ملكاً حلالا للغة ، كما توسع الناس من جميع الطبقات في مظاهر العيش وانتشرت بينهم أسباب الرخاء والترف مما لم يكن لهم به عهد في سالف الزمن ، وعينوا لكل شيء ما يميزه من الاسماء والألفاظ وتداولوها في أحاديثهم وكتاباتهم ؛ ولكن علماء اللغة عدوا كل ما لم ينطق به قدماء العرب من الدخيل الركيك ، وجعلوا الاعتداد به عيباً وعاراً ، فخلت المعاجم العربية من هذه الألفاظ وامتلأت بأشياء لا يحتاج اليها الا المتبحرون من علماء اللغة وهم القليل من أفراد الامة ، وبقي السواد الأعظم بلا معجم عام يرجعون اليه في ما يلزمهم فهمه ولا يفهمونه ؛ زد على ذلك افتراق اللغات العامية عن لغة الكتابة في كل صقع وقطر ، بحيث أصبح العربي العامي غريباً عن لغة آبائه وأجداده ، لا يستطيع الإحسان فيها إلا بعد الجهد الكبير ، كأنه يتعلم لغة أجنبية ، وهي مصيبة عظمى لا يعادلها مصيبة ، مني بها العرب في كل مكان وكانت من أكبر عوامل تأخرهم في هذا العصر وفي العصور التي سبقته ، اذ خالفوا السنة المتبعة في لغات سائر الأمم الراقية من وحدة اللغة تكلماً وكتابة . ولا ريب ان رقي تلك الامم كشف عنهم هذه المصيبة بعكس ما هو عندنا فإن في تأخرنا قد عضل هذا الداء وظل أعظم عثرة في سبيل تقدمنا ، ولا يرجى للعرب نجاة من هذه البلية الا ان يبلغوا شأو الامم الراقية في العلوم والترقي فتأتي وحدة اللغة من نفسها .

اللغة ملك للأمة بأسرها لا ملك أفراد معدودين منها ، والحاجة اليها عامة سواء للخواص والعوام ، فكما أن للغة منهجاً شعرياً وأدبياً فكذلك لها أيضاً مناهج كثيرة أخرى تتألف منها أجزاء اللغة ، فلها منهج لمن يقرؤون الحكايات والقصص ، ولها منهج

لارباب العلوم والفنون على تنوعها ، ولها منهج لاهل الصناعات والحرف على اختلافها وكثرتها ، فالنجار مثلا ينبغي ان يرى في فهرست اللغة المتداولة في أيدي الناس (المعجم) جميع حركاته في صناعته وأسامي آلاته وادواته حتى اصغرها وأدقها ، فإن ذلك جزء من اللغة غير خارج عنها ، وهكذا الجزار والطباخ والحوذي والصباغ والحائك والعطار والبقال والبزاز والملاح والحلاق والتاجر والصراف والصحاف والفلاح والحداد والإسكاف والبيطار والحجام والكحال والحجار والصقال والقصار الى ما لا يحصى من الصناعات والحرف القديمة ، فضلاً عما جد من الصناعات العصرية وأهمها ، ومن جملتها الآلات المختلفة الحديثة التي تتحرك بقوة البخار كالقاطرات في سكك الحديد ، أو بقوة الكهرباء كالترام الكهربائي او بالمحركات الكهربائية (موتور) على اختلاف أشكالها وقوتها كالسيارات والطيارات والدراجات والغواصات وما شابهها . ان كل ذلك يلزم أن يسمى بأسماء معينة لا يشوبها ظن ولا ريب ويجمعه معجم مختصر مفيد (منقح متناسب متناسق) بأسلوب عملي خال من التعقيد موضح بالصور والمصورات مراعى فيه المنفعة العامة لا براعة اللغويين (ممن يليق ان تسميهم كتاب العصور الوسطى الذين يعيشون في هذا العصر بذلك الرأس) على مثال معجم لاروس الصغير الجامع لكل شيء متصل بالحاجة بعيد عن الزوائد التي لا تمس الحاجة اليها ، وهذا المعجم (أي معجم لاروس) هو مثال ينادي بأن كل أمة لا يكون لها معجم مثل هذا لا يطلق عليها اسم امة راقية .

زارني أحد أصدقائي القدماء ، وهو عربي الأصل ، ولكنه لا يعرف اللغة العربية حق معرفتها لأنه نشأ في المدارس التركية وقضى أوقاته في وظائف الحكومة ولم يشتغل بالعلم بعد المدرسة ، وكأنه قد شعر في الزمن الأخير بأنه أخطأ في إهماله لغة آبائه وأجداده ، فأحب أن يمارس قراءة الكتب العربية تلافياً لما فاته منها ، فسألني عن معجم عربي تسهل مراجعته ولا يملأ قارئه بزوائد ليس له حاجة بها ليستعين به على فهم ما يشكل عليه فهمه من ألفاظ اللغة ، وبعد أن أعملت الفكر ونظرت إلى مقدار استعداد صديقي لم أستطع أن أرشده إلا الى (المنجد) ذاك المعجم الصغير المختصر طبع اليسوعيين مع علمي بنقصانه وببعض أغلاط رأيتها فيه من قبيل المصادفة وهي أغلاط

وقعت في بعض أسماء الحيوان والنبات ، وكاتبه معذور في ذلك فإن تلك الأسماء جاءت من معجمات اللغة التي يكثر فيها الاكتفاء بقول (اسم حيوان) أو (اسم نبات) بلا تعيين وإيضاح فاضطر المؤلف إلى تعيين أسماء وصور لمسميات أخرى ؛ والسبب في اختياري (المنجد) على سواه هو علمي بأن صديقي لم يعتد إلا مراجعة المعاجم الفرنسوية أو التركية السهلة الخالية من الزوائد وليس له جلد على قراءة صحيفة أو صحيفتين للوصول إلى الكلمة التي يريدها كما هو الحال في محيط المحيط واللسان والتاج والقاموس ، وهو فوق ذلك لا يعرف تجريد الكلمات إلى الثلاثي أو الرباعي ليهتدي إلى أماكنها ، والمجرد هو العمدة في معاجم لغة العرب كما هو معلوم ، وهو بالطبع يجهل تماماً البحث عن الألفاظ بأحرفها الأخيرة كما في اللسان والتاج والقاموس وسائر المعاجم القديمة ، بل يضيق صدره إذا رأى أقرب الموارد وهو من أحدث المعاجم وأجودها طبعاً وورقاً وأحرفاً يتألف من ثلاث مجلدات ضخمة فيزيد على حالة المبتدئ والمتوسط ولا يغني المنتهي اللغوي الجشع ، وهو أيضاً عمدته الثلاثي والرباعي المجردان لا أحرف الالفاظ كما هي الحال في معاجم اللغات الاخرى ، وكل فضيلة في هذا المعجم هي في حسن الترتيب والتنسيق في الكلمات وحذف الألفاظ المستهجنة التي لا توافق هذا العصر ، وقد أوصيت صديقي بأن يقتني أيضاً المعجم الفرنسوي طبع اليسوعيين من الفرنسوية إلى العربية ، ومن العربية إلى الفرنسوية ، حتى إذا أشكل عليه فهم كلمة راجعها في هذين المعجمين [1] ولا يستغني عن معجم لاروس الصغير فإن ذلك يتلافى ما لا يراه في هذين المعجمين وينفعه كثيراً ، لأني فرضت أن حالة صديقي تعادل حالة تلميذ في مدرسة غربية متوسطة ولا يجوز تحميله أشياء فوق طاقته .

وهنا لا بد لي من أن أعترف بحقيقة لازمتني في حياتي العلمية في كتابة الجرائد والترجمة وهي أني لم أستفد من اللسان والتاج الا نادراً ، بل اني ما زلت في عجب

---

(١) كل هذه المعاجم هي معاجم ناقصة ابتدائية لا تفي بالحاجة الا أنها تصلح أن تكون أساساً لمعاجم أكمل منها تكتب بعدها .

عجيب [1] أن يبقى العرب محتاجين في هذا العصر الى مراجعة معاجم كتبت قبل مئات من السنين، وهذا يكفي وحده للدلالة على أنهم مازالوا يعيشون في تلك العصور القديمة ولا يعلمون ان حق هذه الكتب ان تحفظ في المتاحف كالمتحجرات القديمة ، وان حقهم في هذا العصر أن يكون لهم معاجم عصرية راقية ؟ ولكني قد استفدت كثيراً من محيط المحيط وترجمة الفيروزابادي في التركية ، لاحتواء الاول على ألفاظ دخيلة لا غنى عنها في مطالعة الكتب العلمية العربية ، وعلى بعض فوائد خارجة عن موضوع المعجم اللغوي ، علمها المؤلف في أثناء مطالعة الكتب الاخرى فأضافها الى معجمه عند تأليفه وقد أحسن عملا وأفاد ، ولولا ذلك لما كان حوى هذا المعجم فضلا يمتاز به على غيره ، إلا ما كان من تسهيل المراجعة بالحرف الاول من الالفاظ؛ اما ترجمة قاموس الفيروزابادي فقد أضاف المترجم خلال الترجمة الى الاصل أشياء ذات فائدة لا تنكر، وعين لبعض الاسماء مسمياتها بالتركية ، مما دل على غزارة علمه وكفايته لمثل هذه الترجمة ، وكل ذلك جاء فيه بوضوح تام بحيث أصبحت الترجمة احسن من الأصل واوسع مادة واصح قولا لمن يعرف التركية ؛ ولو استطاع أحد الكتاب العصريين أن يجرد من هذه الترجمة الاصل العربي ، ويعتمد على ما يقابلها في التركية من الالفاظ ، وينسقها في صورة معجم عصري ، لتألف من ذلك احسن معجم كتب بالتركية للتركية حتى الآن ، لان هذه الالفاظ مازالت مستعملة في معظم أنحاء الاناضول وشتان بينهـا وبين ما يتشدق به بعضهم من الالفاظ الطورانية القديمة التي تذهب هباء بعد وضعهـا ولا يستعملها الآتي بها الا مرة ، فجامع الفاظ قاموس الفيروزابادي بالتركية قد ضم الالفاظ التركية الصحيحة المستعملة .

وكذلك استفدت من المعاجم الفرنسوية لليسوعيين ومعاجم شمس الدين سامي بك بالفرنسوية وبالتركية ، فكنت كلما اشتبهت بلفظ من الالفاظ أبحث عما يقابله في احدى الثلاث اللغات التي أعرفها العربية والفرنسوية والتركية، فأهتدي الى ما يلزمني في الكتابة

---

(١) المجمع : وهذا رأي غريب ، فان من يتقرعن ألفاظ المصطلحات العلمية ، والذي يكتب في موضوعات علمية يحتاجان الى المعاجم القديمة ابداً .

والترجمة بفضل مثل هذه المقابلة والتحقيق ، وما ذلك الا لان هذه المعاجم مكتوبة على نمط عصري،ويكفي ان يراجع الانسان الكلمة التي يريدها ليجدها بسرعة ولا يضيع الوقت عبثاً ، وقد ضاق الوقت في هذا الزمان بحيث لا يستطيع الانسان اضاعته في غير محله ؛ ومن الفوائد التي وجدتها في المعجم التركي لشمس الدين سامي بك إشارته الى أصول بعض الالفاظ الدخيلة العربية وخصوصاً الالفاظ التي عربها العرب من اليونانية والفارسية والعبرانية والسريانية وتثبيته الاصول بأحرف اللغات التي نقلت منها لان المؤلف كان له المام بلغات عديدة ،وهذا لم يفعل مثله مؤلفو المعاجم قديماً وحديثاً ، وكل ما أشاروا اليه في بعض ألفاظ دخيلة اكتفاؤهم بقولهم انها من الدخيل فقط غير مصرحين باللغات التي جاء منها اللفظ الدخيل ، وهذا يؤيد ما روي من القول عن احد كبار الاساتذة المحدثين في احدى المقالات التي نشرت في مجلة مجمعنا العلمي من انه يجب على الذين يشتغلون بعلوم اللغة العربية أن يكون لهم المام باللغات اليونانية والعبرانية والسريانية والفارسية والحبشية والمصرية القديمة والحميرية الخ لان هذه اللغات كان لها تأثير كبير في العربية سواء في دورها القديم اوفيما بعده .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليست غايتي مما تقدم من القول ان أنتقد المعاجم او أمدحها ، أو أن اطلب للغة العربية معجماً راقياً مثل قاموس لاروس الصغير ، وأعيب على العرب تأخرهم وعجزهم عن ذلك ، لان معجم لاروس هو نتيجة رقي تلك اللغة وتفوق أهلهاعلى العرب زمناً لايقل عن قرن أو قرنين ، وليس للعرب لغة مترقية مثل تلك اللغة ، ولا علماء قديرون مثل أولئك العلماء ، ولاأحرف ومطابع وطابعون مثل أحرفهم ومطابعهم وطابعي الكتب عندهم، ولا رواج للعلم عند العرب كالرواج الذي عند اولئك ، فمعجم لاروس مثلا يباع منه في السنة مئات الالوف ، وكلما مر على طبع الكتاب برهة من الزمن يضيفون اليه ما جد في اللغة ، ويكررون طبعه في شكل أحسن وا كمل بأحرف جديدة وطبع نظيف متقن ، والطابع عندهم يستورد رأس مال الكتب التي يطبعها في سنة او سنتين فيطبع غيرها ، هكذا تنمو وتزداد مطبوعاتهم على عكس ما في بلاد الشرق القريب ،فأن المعجم او الكتب العلمية الاخرى التي تطبع فيها قد لا يستوفي طابعها رأس المال الذي وضعه إلا بعد عشر سنين أو عشرين سنة ، وقد لا يستوفيه بعد خمسين سنة ، وما ذلك إلا

لقلة ميل الناس للعلوم ولا سيما النافعة منها ، وهناك بون شاسع بين حروفهم بحروف العربية ، وإذا شئت أن نعلم ذلك الفرق العظيم فخذ صحيفة من صحائف معجم لاروس وترجم ما فيه الى العربية ، واجمعه بأحرف مطبعية ، واطبعه فانك ترى الصحيفة أصبحت أربع صحائف ، وذلك لان احرفهم صغيرة لا تشغل محلاً كبيراً من الورق ، وهي جميلة جيدة لانها تتجدد في كل وقت ، وحالتهم الاقتصادية تسمح لهم بالتجديد والتحسين على الايام ، وبالجري على ما يقتضي به الزمان والحاجة ، وهذا ما لم يسمح به الزمان للعرب ولا لطابعي كتبهم الى اليوم ، ولذلك ترى معظم الجرائد السورية والمجموعات والكتب التي تطبع في بلاد الشام في منتهى التأخر والقبح من حيث أحرفها القديمة المكسرة وجمع الاحرف على غير قاعدة علمية وطبعها بشكل وسخ وبلا قياس (عيار) منتظم بين الصحائف ولا سيما الصفحة الاخرى التي في ظهرها ؛ وهذا يقال عن الا كثرية ، ولكن هناك مطابع قد اتقنت صناعة الطبع بما في وسع الاحرف العربية من إمكان الاتقان كالمطبعة التي طبعت (مجمع اللآل) للاحدب وهي مطبعة فذة في بابها ليس لها ما يعادلها في بلاد الشام ولا في غيرها من البلاد العربية الاخرى أو غير العربية ، ولا بأس ببعض مطابع مصر وإن كانت لم تبلغ مدى مطبعة مجمع اللآل [1] ، ولكن محاسن الطباعة العربية ضئيلة أمام أكثرية في منتهى التأخر ، وما زلت أتعجب والترك يضحكون من طبع معظم الجرائد المصرية بأحرف كبيرة من نوع ٢٤ بنطاً ، وجرائد أمم الغرب تسعى لتصغير أحرفها حرصاً على تزييد المادة الفكرية بما يتسع لها من المجال من صغر الاحرف ، ويكفي أن يلقي الانسان نظرة الى الانسيكلوبيدية الانكليزية المطبوعة بأحرف دقيقة على ورق رقيق لا يتمزق بسهولة ليرى الفرق بين مطبوعات الامم الراقية ومطبوعاتنا المتأخرة ويعلم سر تفوق تلك الامم وقوتها وسيطرتها ؛ وهنا يجوز لي أن أذكر السبب الاساسي الذي جعل الترك ينبذون الاحرف العربية ويستبدلونها بالاحرف اللاتينية ، والسبب الحقيقي ليس انفراق العرب فقط عن الترك كما يظن بعضهم ، ولا عداؤهم للعرب فقط بعث بهم الى هذا التبديل ، بل ان القضية اجتماعية وتاريخية ، لا مسألة عواطف وغضب ، فان الترك لما رأوا تقدم امم الغرب اقدموا على إصلاح الاحرف

(١) أما اليوم ففي مصر مطابع تفوق مطبعة الآل في الاتقان والجمال .

العربية بكل ما لديهم من الجهد والغيرة ، وهم الذين خدموا الخط العربي عصوراً طويلة خدمةً لا ينكرها عليهم احد ، والمصاحف التي كتبها خطاطو الترك المتداولة والمخطوطات المحفوظة تشهد لاولئك الخطاطين بالفضل الكبير على هذا الخط ، ولكن كلما كان النابغون من الترك يتقدمون خطوة في سبيل ترقية الطباعة بالاحرف العربية كانت الموانع الكامنة في اشكال الخط العربي ككتابة الاحرف بعضها فوق بعض واتصال بعضها ببعض والنقط والحركات ترجعهم الى الوراء خطوات ؛ ومن المعلوم ان اللغة التركية ليس فيها بعض الاحرف العربية كالثاء والحاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف والواو (بتلفظها العربي) فكانوا يستعملون هذه الاحرف على الاغلب في الكلمات العربية ولا يتلفظون بها كما يتلفظ بها العرب ، وكانوا يضيفون الى الاحرف العربية الباء المثلثة والجيم المثلثة والزاي المثلثة والكاف الفارسية والكاف الصامتة التركية لتأدية بعض الالفاظ التركية والالفاظ الفارسية المستعملة في اللغة التركية ؛ وقد بلغ عدد اشكال الاحرف العربية ـ التركية في صفات المطابع خمسة وثمانين شكلا على النمط البسيط ، وبلغ عدد أشكال الصفة الكاملة الجامعة للاحرف الهوائية أيضاً مائة وعشرين شكلا ، ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت لجامعي الحروف ، وقد أرادوا الكتابة بآلات الكتابة الحديثة كما يفعل الغربيون حتى الروم والارمن من الامم المحكومة الشرقية فلم ينجحوا ، لكثرة الاحرف وقبح منظرها كلما قل عددها ، فضلا عن الصعوبة التي يصادفها العامل على الآلة ، ثم ارادوا ايضاً جمع الاحرف المطبعية بالآلات المستعملة في اوربا بعد اقتنائهم آلات الطبع السريعة العمل (روتاتيف) وتفرغ لهذا الامر بعض جامعي الاحرف وسافروا الى لوندرة وقضوا فيها زمناً طويلا في صب الحرف العربي وترتيبه على الآلة والتمرن عليه ، ثم عادوا واشترت المطبعة العامرة (التي أصبح اسمها الآن مطبعة الدولة) آلتين من هذا النوع تتحركان بالكهرباء حتى اذا نجحتا يقتني أصحاب الجرائد والمطابع مثلهما تخفيفاً للنفقات الكبيرة التي يدفعها أصحاب الجرائد والمطابع أجرة الى جامعي الأحرف ، لان أعظم نفقة في الجرائد كانت أجرة جامعي الأحرف ، وكانت حملا ثقيلا عجز أكثر أصحاب الجرائد عن تحمله ، والجامع الواحد على آلة الجمع يستطيع أن يقوم بعمل ستة من الجامعين ؛ ويصب الأحرف صباً

كما جمعها فتكون أحرفاً جديدة وتطبع الجريدة بها قطعة واحدة أو بعض قطع بشكل نظيف وطبع متقن • ثم تذاب بعد انتهاء الطبع ولا يتحمل صاحب الجريدة الخسارة التي تأتي من كثرة استعمال الأحرف وبلاها وتجديدها من آن لآخر ؟ ولكن هذه التجربة أيضاً لم تأت بفائدة فان الآلتين كانتا لا تجمعان الاحرف بسرعة ، وكانتا في كل يوم تتعطلان فيقف الجامعون بلا عمل إلى حين إصلاحهما ، وكانت الاحرف التي تجمع بواسطة الآلة مختصرة بعض الاختصار من حيث الخط كما هي الحالة في آلة الكتابة ، فما كان يستحسنها الناظر اليها انتقصها عن حسن الاحرف التي تجمع باليد ، فلما تحقق عدم إمكان استعمال هذه الآلة بالاحرف العربية تركها أصحابها وذهبت النفقات هباء منثوراً • ثم توسلت العسكرية قبل الحرب العالمية للكتابة بالاحرف منفصلة بلا وصل بينها ، فحدث من جراء ذلك فوضى لم يعهد الناس مثلها في الجندية ، فعدل المبتدعون عن بدعتهم وعادت الامور الى ما كانت عليه قبلا ؟ ولكن بقي النشء الجديد من الاتراك يتذمرون من الاحرف العربية وعدم قابليتها الاصلاح ، وكانوا كلما نظروا الى تقدم الغرب ازداد حنقهم على الاحرف العربية وعداؤهم لها ، ومما زاد نفورهم من الاحرف العربية والالفاظ العربية المستعملة في اللغة التركية هو ان اكثر النشء الجديد التركي انصب على تعلم اللغات الغربية منذ اكثر من أربعين سنة وضاق الوقت أمامه عن تعلم اللغة العربية بعكس ما كان في القديم ، بل صعب عليه تعلم القواعد العربية الواردة في الصرف التركي فبقي يجهلها وأصبح يكتب لغته ويكثر من الاغلاط القبيحة فيها ، وكان هذا يأتي بالشديد من انتقاد المتضلعين في اللغة فنشأ من ذلك حزبان حزب المحافظين وحزب المجددين ، واتصلت بينهما المناقشات عهداً طويلا حتى كان الظفر في نهاية الامر للحزب الثاني مع ارتكابه الغلط وجهله بآداب اللغة ، لان الزمان كان في عونه ، كما ان حزب تحرير المرأة قد فاز وحزب المحافظة على الحجاب قد انخذل ، وليس الفضل في الظافرين الا للحاجة ودواعي الزمان لا سعي الساعين فقط ؟ ولما انتهت الحرب العالمية بافتراق العرب عن الترك ، أحرز الكماليون بعد ذلك الظفر على اليونان ، وقضوا على مطامع الغرب كما يقولون ، ولم يبق لهم في البلاد معارض من الحزب القديم ولا وجل من العرب الذين كان لهم أكبر تأثير في الشؤون الاسلامية ، تولى الغازي مصطفى كمال

باشا قيادة الثورة الادبية التي قام بها النشء الجديد التركي ، وأعلن إبطال الأحرف العربية ، واستعمال الاحرف اللاتينية في محلها ، وهي فكرة قد جاءت بتأثيرها ، بعدما اختمرت أحقاباً طويلة كما مر ، ولا يتحقق الشيء إلا بعد أن تتهيأ أسبابه ، وعلى ذلك أحضر الناس والحكومة من أوربة عشرات الالوف من آلات الكتابة بالاحرف اللاتينية ، وعم استعمالها في مصالح الحكومة ومكاتب المحامين وبيوت التجارة وإدارات الجرائد ، بحيث انك لا ترى بعد هذا الانقلاب محلا خالياً من هذه الآلات ، وأعظم المولعين بهذه الالات اليوم هم الشبان والاولاد والفتيات خصوصاً العاجزين منهم عن حسن الخط والكتابة بلا غلط ، وقد أحضر بعض أصحاب الجرائد آلات جمع الأحرف ، وأخذوا يجمعون أحرف جرائدهم بهذه الالات ، ومن يمر بجادة الباب العالي (وهي جادة أنقرة الآن) يرى صفة أو مجموعة جريدة (مليت) معروضة على أنظار العابرين ، وفيها ثلاث أو أربع آلات كبيرة وأمام كل آلة جامع يجمع الاحرف وهو قاعد على مقعد كأنه يكتب على آلة الكتابة ، ومثل هذا الانقلاب العظيم لا يقال عنه انه خطوة الى الامام بل هو من قبيل الطيران المحلق في الجو المجهول العاقبة الذي لم يسبق له أمثال في التاريخ منذ ظهور الكتابة في دور العمران البشري . ولم يذكر لنا التاريخ ان أمة ذات لغة وكتابة قطعت مراحل كثيرة في العلوم والأدب كالامة التركية أبدلت فجأة أحرفها بأحرف أخرى ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يتنبأ منذ الآن بما عسى أن تكون نتيجة هذا الانقلاب ، هل تكون خيراً أم شراً ؟ ولكن النشء الجديد التركي يرى أن لا إمكان لتأورب الترك (أي أن ينقلبوا أوربيين) وتقدمهم في العلوم والتمدن ولحوقهم أمم الغرب المترقية الا بهذا الانقلاب ، فاما أن تعيش أمتهم في مصاف تلكم الامم ، واما أن يفعل الله بها ما يشاء ؛ وعندهم أن الانتحار أفضل من أن تعيش أمتهم مصابة بأدواء عضالة قديمة لاتستطيع النهوض منها، من جملتها الاحرف العربية الخالفة لفن الكتابة والطباعة العصري ، وتسلط اللغة العربية على لغتهم ، والعرب متأخرون في كل مكان ، ولم يبق للترك منفعة من اهتمامهم باللغة العربية ولا بالعرب ، بل لا يكون لهم من التصاقهم بالعرب الا التأخر والسقوط .

هذا ما يقوله شبان الترك ، والمنصف الذي يأخذ الامور على حقائقها يرى أن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباعث للترك الى تغيير أحرفهم واستبدالها بالاحرف اللاتينية ليس الا يأسهم من ماض طال عهده ولم يأت بالتقدم الذي يتطلبه العصر ؟ وهم غيورون على استقلالهم ، فرأوا أنهم اذا لم يتشبهوا بالغرب وترقيه ضاع منهم الملك والاستقلال ضياعاً لا يمكن تداركه ، وما أصاب البلاد الاسلامية في كل مكان من الاسر والرق والعبودية كان لهم أكبر عبرة اعتبروا به ، فهجروا القديم من قوانين وعادات ومعيشة وعلم وأدب ، ولبسوا الجديد من الأساليب العصرية ، وهم دائبون في هذه الطريق ، والغاية التجرد من التشرق ، والتأورب في كل شيء ، وقد يبلغون غايتهم عاجلا او آجلا ما لم تحدث أمور عظيمة غير منتظرة كظهور حرب عالمية في وقت قريب واشتراك تركية بها ، ومهما يكن من الامر فانهم فرحون بما فعلوا ويفعلون وتسليتهم في ذلك انهم فعلوا الممكن واجروا الواجب عليهم امام التيار الجارف الناشئ عن ترقي امم الغرب .

إن غايتي من هذا البحث هي لفت أنظار العرب ولاسيما أرباب الاقلام منهم الى ما يحتاجون اليه من نهضة سريعة عصرية في اللغة ووسائطها ، لان اللغة هي آلة الترقي والتقدم وعجزها ونقصانها يوجب العجز والنقصان في جميع اسباب الترقي والتقدم ، وقد التزمت تطويل البحث تعمداً وتوسعت في البحث كثيراً ، والرائد الاصلي هو الترقي في العلوم العصرية حتى تترقى اللغة ويشمل الترقي كل شيء ، وهذا لا يكون الا بمتابعة الامم الراقية في العصر الحاضر التي بلغت في التقدم شأواً لم يبلغه احد قبلها لا من العرب ولا من غير العرب متابعة بلا تردد ولا توقف ولا مناقشة ولا مكابرة .

وها انا اذكر باختصار آرائي فيما يتعلق باللغة العربية ولا ادعي العصمة والصواب ؛ ولكنني اعتقد ان الصواب ليس بعيداً عما اقول ، واني اقوم بواجب وجداني للامة العربية باختياري اللهجة الواضحة في اقوالي ، ولا يهمني ان رضي بعضهم او سخط آخر ، فان الزمان أصبح شديد الوطأة لا يهمل ولا يمهل ، وكفى ما افتخرنا به من المكابرة والجهل والرياء الذي موه به ، ومازال يتاجر به كثير من كتاب الغرب الذين يستثمرون الغفلة المستولية على الامة العربية في كل مكان ، واول ما اقول هو ما يقوله الترك لامتهم : يجب الخروج من الحالة الشرقية والتأورب في كل شيء ، واليك التفصيل بالبيان الصريح :

اولا – يجب ترك [1] جميع الكتب التي الفها العرب او ترجموها في عصورهم القديمة وحفظها في دور الكتب ككتب تاريخية في العلوم القديمة يطالعها من يشاء من المتبحرين في تاريخ تلك العلوم ، وعدم طبعها وتداولها بعد الآن ، كما يفعل علماء المشرقيات في الغرب بأمثالها ، فهذه الكتب أنت لزمان انقضى وجيل مضى ولحجتها لحجة ذلك الزمان ، وكانت مفيدة بتداولها الناس في ذلك الزمان القديم ، اذ كانت جامعة لمنتهى ما وصل اليه الناس من العلوم ؛ ولكنها اليوم أصبحت ضارة اذا أضاع الناس أوقاتهم بمطالعتها وسمموا أذهانهم بما توحيه اليهم من تأثير قهقرى وضيق فكر وتأخر وخذلان ، لان العلوم قد ترقت وتبدلت وبعدت عن تلك الدائرة بعداً شاسعاً ، فابن هذا العصر لا يتغذى بمثل ذلك الغذاء ، فاذا تغذى به قتلت ذاكرته وعميت بصيرته ؛ ولا استثني منها كتاباً حتى كتب التاريخ والادب ؛ وعلى طابعي الكتب العربية أن يطبعوا الكتب العصرية من نتائج الترقي الحاضر ، ولاسيما الترجمة الصحيحة الجيدة منها التي تجعل قارئها ابن العصر الحاضر بدلا من طبع الكتب القديمة التي تجر بقارئها الى العلم الابتدائي الخاص بالعصور الوسطى وبذلك تزداد المادة العصرية ويقف تيار التقهقر الذي مازال يجرف تقدم الامة العربية .

ثانيا – تحويل اللغة العربية الى شكل بسيط سهل الفهم ، سهل الكتابة ، مع عدم الاخلال باساس اللغة ، ومن حظ العرب أن الزمان قد نسج هذا النسيج ونمت اللغة البسيطة نمواً طبيعياً ، وهي لغة الجرائد ولغة بعض الكتاب والمؤلفين الذين ينظرون الى المعاني لا الى الالفاظ ، فترى عباراتهم سلسة لا يحتاج قارئها الى قراءتها ثانيا وثالثا ليتمكن من فهم المعنى ، الا أنك ترى من جهة أخرى أنه ما زال كثير

(١) المجمع . — هذا رأي مضر كل الضرر . افكان يظن الكاتب ان الامة العربية يمكنها التخلي عن تلك الثروة ، او ان الانكليز والفرنسيين مثلا يمكنهم التخلي عن الثروة التي تركها لهم كتابهم في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر لا في الآداب فحسب بل في أسس العلوم الحاضرة ؟

ومن قال له إننا لا نطبع كتباً في العلوم الحديثة وهل يظن أن هذه تغني عن كتبنا القديمة ولاسيما الادبية منها ، فما هذا الرأي ؟

من كتاب العربية وأدبائها يتوخون في الكتابة الجمل المغلقة والالفاظ المهجورة أو شبه المهجورة اظهاراً لبراعة الانشاء ، فتأتي كتاباتهم عبارة عن الفاظ بلا معنى وجعجعة بلا طحن ، وسبب ظاني عدم الاخلال باساس اللغة هو ان المتكلمين بالعربية منتشرون في ممالك مختلفة ، وكل مملكة بل كل بلد منها له لغة عامية تختلف عن الاخرى ، ولا قياس أو معادلة بين ترقي مكان منها وترقي المكان الآخر ، والكل في تأخر وتدني يختلف الدرجات بالنظر الى ترقي حضارة العصر الحاضر ، ولا يوجد بين هذه الممالك الشاسعة الاطراف جامعة أو رابطة الا جامعة اللغة التي احتفظ بها السلف الكريم وتركوها خير ذخر للخلف واكرم ثراث ورثناه عنهم ، ولكن الضغط الاتي من رجحان كفة الغربيين أخل بتوازن الحالة الاجتماعية في الشرق وكان له تأثير كبير في كل شيء ، حتى في اللغة فلم تسلم منه ، وهل اللغة غير شيء من الحياة الاجتماعية ملازمة تعلو باعتلاء حضارة الامة وتتأخر بتأخرها ؟ وكان من جملة التأثير الذي أصاب اللغة العربية محاولة بعضهم اقامة اللغة العامية محل لغة الكتابة التي بقيت واحدة عند العرب مهما اختلفت المذاهب والديار بينهم ، وما تولد مثل هذه الآراء الا أمر طبيعي لا يستغرب ظهوره ما دامت اللغات العامية في كل قطر غير لغة القطر الآخر وغير لغة الكتابة ، فالمحاولون لمثل هذه البدعة قد يجدون استعداداً واسعاً إذا لم يتدارك امره الغيورون على الجامعة العربية ولذلك أرى من الضروري تقريب لغة الكتابة من أذهان العوام ، وهذا لا يكون الا بجعل لغة الكتابة بسيطة سهلة القواعد لاتحتوي إلا على الالفاظ التي يحتاج اليها الكاتب العملي وترك الزوائد التي أهملها الزمان .

ثالثاً — لاجل الوصول الى ذلك يجب اصلاح معاجم اللغة وكتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان ونشر القراءة بين أعلى الطبقات وادناها ، ويقوم اصلاح المعاجم بحذف جميع الالفاظ والمعاني القبيحة والمشتقات التي لم يستعملها السلف الا نادراً ، وهي كثيرة جداً فانك لا تجد اصلا من الثلاثي أو الرباعي ولا من مزيداتهما الا وترى فيه معنى أو معاني كثيرة تدل على العلاقة الجنسية أو ما شابهها ، ومثل هذا لا تراه في معاجم اللغات الاخرى ، وكذلك ترى كثيراً من الالفاظ قد ملأت المعاجم ، ولم يستعملها الا شاعر جاهلي ، أو جاءت في ضرب مثل أو غيره نقل عن البادية ولم

ولم يستعمله الناس الا في الكتب ، فهذه الالفاظ يجب حذفها أيضاً ، وهكذا يجب حذف كثير من الفاظ أهل البادية التي أصبح أهل البادية أنفسهم يجهلونها ولا يتكلمون بها ولم يعد لها فائدة الا تسويد بطون الاوراق عبثاً وتشويش الاذهان بمطالعتها • كل ذلك مما يجب حذفه وتجريد معاجم اللغة منه ، وبذلك يخف عن اللغة نصف الحمل وتبقى الالفاظ اللازمة للغة هذا العصر ، ومن شاء أن يتوسع في علم اللغة ويطالع أشعار أهل الجاهلية وما كتبه أئمة اللغة وفحول الشعراء والبلغاء (أصحاب المقامات العجيبة الشكل والمبنى) فلا يصعب عليه مراجعة المعاجم وكتب اللغة التي كتبت في تلك العصور لاهل ذلك الزمان ، ولا نجد في العرب واحداً في الالف يميل الى هذا التوسع ، ولا يهمنا هذا العدد القليل بل يهمنا التسعمائة والتسعة والتسعون ، وهم ركن الامة ، ومتى انطوت تلك الالفاظ وفرغ مكانها يجب ملؤه أو ملئ قسم منه بما دخل اللغة من الفاظ جديدة كالطيارة والسيارة والدراجة والمنطاد والمدفع والبندقية والكهرباء والبرق والهاتف والقطار والمحطة والمطار والمعمل (فابريكة) والمصحة (كلينيك) والمشرحة والباخرة والبارجة والمدرعة والطرادة والغطاسة والغواصة والمرجل والرفاس والقذافة والشاحنة والقاطرة والمنطاد المسير (ديريجابل) والحفلة الساهرة وكثير من أمثال هذه الالفاظ التي دخلت اللغة وثبتت لسهولة استعمالها وشدة الحاجة اليها • وسيدخل اللغة مئات اخرى من أمثال هذه الالفاظ بعامل الرقي الحاضر ، وهذا غير ما دخل ويدخل اللغة عن طريق الاقتباس والتعريب كالميكروب [1] ورسم الكروكي وغاز الكبريتيك والتحليل البكتريولوجي والتيفوس الطفحي والملاريا والحمى التيفوئيدية والدفتريا (الخناق) والانفلونزة والتيتانوس والدوسنطارية والبالة والبلاج والكازينو والروليت والترام والكوبون والبترول والترانسيت وكثير غيرها من الاسماء والمصطلحات

(١) المجمع : قد وضع لا كثر هذه الالفاظ اسماء عربية غم استعمالها كالتحليل الجراثيمي والكزاز (التتانوس) والاروحة (الكوبون) والنفط (اسم عربي قديم للبترول) ومن هذه الاسماء الاعجمية ما يمكن تعريبه كالترام (للترامواي) والراد (للراديو) والبت في ذلك لمجمعي اللغة العربية في الشام ومصر •

في سائر العلوم والحرف والاشياء التي اكتشف العلم والحضارة مسمياتها في العصور الاخيرة ولم تكن معروفة عند العرب ، وسيدخل اللغة الفاظ اخرى من صفات وافعال واسماء لتأدية المعاني التي تنقل من اللغات الاخرى ولا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية كتعريب السلف عن الفارسية (تازه) بلفظ طازج و (ساده) بلفظ (ساذج) وغيرهما من الالفاظ ، ولا يعرف حاجة اللغة لمثل ذلك الا من عانى الترجمة من اللغات الاخرى .

وبمثل هذا التكمل والانقلاب يمكن تحويل اللغة العربية الى لغة عصرية جامعة لما كان وما يكون في السماء وفي الارض ، ويمكن وضع معجم عصري على مثال لاروس يتكمل مع الزمان ؛ ويجب قبل كل شيء تحرير اللغة من عبوديتها البدوية وترك الحكم فيها لعوامل التمدن الحاضر ؛ اما كتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان فينبغي ايضاً أن نأخذ فيها مأخذ كتب اللغة ، فالقواعد يجب أن توضع للالفاظ المستعملة والامثال يجب أن تؤخذ من الكلام الشائع بين الناس لا أن يؤتى بكل ما نطق العرب به ويوضع له قواعد ويؤخذ مثالا لها كما هو الواقع في كتب الصرف والنحو عند العرب . وأمامنا أمم قد اعتلت علواً كبيراً في سماء التمدن الحاضر وعلوها هذا قد شمل جميع وسائل الحياة العلمية ، فينبغي أن نجعل كتبنا في الصرف والنحو والانشاء والبيان وأشكال التعليم والتدريس قدوة لنا ، وان نأخذ الامثلة من أقوالنا المصرية المشبعة بما وصل اليه الترقي الحديث ، لا ان نقلد القديم وننقل القديم الذي لا يلائم هذا العصر ونحن في غفلة لا ننتبه منها .

رابعاً — التسامح في توسيع المجاز عند ايجاد ما يقابل الالفاظ الجديدة ، على شرط أن تكون الالفاظ معروفة لا مهجورة ليسهل قبولها واستعمالها والا فانها تذهب عبثاً ؛ وينبغي منذ الآن التسليم بأننا مهما اجتهدنا وبالغنا في البحث والتنقيب فاننا لا نستطيع أن نجد لكل شيء حديث اسماً في العربية يميزه عن غيره ، ولذلك لا بد من تعريب كثير من الالفاظ الاجنبية وادخالها في اللغة ، واضرب لذلك مثالا صغيراً وهو اننا قد اطلقنا اسم (سيارة) للاوتوموبيل ولكن للسيارة انواع وكل منها له اسم مخصوص وهذا فضلا على الكاميون والكاميونيت والاوتوكار ، فكل هذه الاسماء تحتاج الى ما يقابلها في اللغة العربية ؛ ولو اردنا ان نجمع هذه الالفاظ من كل مبتكر حديث لبلغ عددها

الالوف . ولذلك لا بد من تعريب أكثر هذه الألفاظ الحديثة ، إذ ليس في الامكان ايجاد ألفاظ عربية لها كلها ؛ ومتى عربناها دخلت في ألفاظ اللغة ودواوينها

خامساً ــ أرى أنه لا بد من ضم اربعة أحرف الى الالف باء العربية وهي الباء المثلثة والجيم المثلثة والكاف الفارسية واستعمال الغين والواو والهاء في الاسماء الخاصة الاجنبية في محل G و V و E مع إثبات حروف الحركات ، وبذلك يمكن التلفظ بتلك الالفاظ كما هي في أصولها وحفظها من المسخ والتحريف الذي يطرأ عليها من التعريب ، فلا تصبح مشكلة يصعب معرفة أصلها كما هي الحالة في كثير من المعربات ، يجب أن يكتب بيهر في محل بيار او بيير ، وبوانكاره في محل بوانكاري ، وبيانه محل فينا ، وويكتور هوغو في محل فيكتور هيكو ، وبورتوآلله غرو محل بورتواليغرو ، ودانته في محل دانتي ، وچاپي في محل جابي أو شابي ، ومارسيليه في محل مرسيلية وهكذا في جميع الاعلام نتابع فيها تلفظ الاصل .

سادساً ــ إصلاح الشعر العربي بتحريره من اللهجة البدوية والفاظ البادية والتوسع في الاوزان والقوافي وترك الالفاظ المهجورة التي يستعملها الشعراء اضطراراً لضيق الوزن والقافية ، ولا يفهمها من يقرأ تلك الاشعار الا بعد مراجعة المعاجم وضياع لذة الشعر ، فقد وضع اهل الجاهلية هذه الاوزان والقوافي ومعاني البادية قبل عهد لا يقل عن الف وخمسمائة سنة ، وكانت متناسبة مع عصرهم وكانوا الموجدين المبدعين فيها ، فهم آباء الشعر العربي كما ان بقراط كان ابا الطب وهيرودوت أبا التاريخ ، وقد انقضى عهد الجاهلية وخلقنا في عصر لا شبه بينه وبين العصور القديمة ، فكما ان كل شيء توسع وتكمل تابعاً للترقي الحاضر فكذلك لابد من توسيع نطاق الشعر وجعله ملائماً لحاجة هذا العصر .

سابعاً ــ الفت النظر الى الموسيقى الغربية لانها الموسيقى العلمية التي لا بد لكل أمة تطلب الحياة أن تقتبسها ، ولا يجسر أحد على التنبؤ بأن العرب سيبقون في تأخرهم الحاضر ولا يتأوربون ، ولا يشتد ساعدهم فيجارون حملة الحضارة في الامم الحاضرة ؛ بل أقول إنه لا بد من أن يأتي يوم قريب أو بعيد ينظم فيه شعراء العرب الوقائع المرسحية على شكل اوبيره او اوبيريت ، وتقوم جوقة من

العرب تترنم بهذه الأشعار ، وكل صوت له نغمته الموسيقية تحت قيادة مؤلفة من خمسين أو ستين موسيقياً ؟ وليست القضية الا قضية زمان ليس غير ، ولذلك أرجو من قادة الشعر العربي الواقفين على علوم الغرب أن ينظروا الى المستقبل عند نهضتهم في الشعر ، فان الامة متى ترقت لا تتغذى الا بالموسيقى العلمية وهي موسيقى الغرب فيلزم أن تنتبه الأذهان منذ الآن الى ذلك .

ثامناً ـ أكرر لفت النظر الى آلات الكتابة وآلات الطبع فكما ان اللسان هو الآلة الناطقة ، فآلات الكتابة والطبع ، وفي جملتها الاحرف ، هي آلات النطق الصامت ، ولا يمكن ان ترقى الامة في عامة الامور الا اذا ترقت في وسائط الكتابة والطبع . وكما ينبغي استعمال احدث الالات في الطيران واللاسلكي كذلك يجب استعمال احدث آلة وجدت للكتابة والطبع ، ولهذا الفت النظر واترك الفكرة فيه لمن يقومون بالنهضة الحقيقية للعرب لاعلاء شأن العرب الى مستوى الغرب وتأريبهم .

فهذا ما اردت كتابته ولفت النظر اليه ، وارجو ان يتأمل فيه كل من يهمه شأن هذه الامة ويبدي فكره بكل صراحة كما فعلت ، ولا يهاب فيما يقول الا ضميره . ومرمى نظري هو البعيد لا الحالة الحاضرة ، ولكن اذا لم يفكر الانسان بالبعيد يمر الوقت ولا يصل الى الغاية المقصودة ، وهذا هو سبب استمرار تأخر العرب في هذا العصر . وخلاصة القول اني اطلب للعرب التأورب في كل شيء ومتى عزموا وتوسلوا بالاسباب وقوّوا حق وجدانهم امام سيل ترقي الغرب الذي لا ينصف ولا يرحم الا اذا قوبل بمثل تفوقه وتقدمه .

زكي مغامز

عضو المجمع العلمي العربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طرائف لغوية

مقتبسة من سيرة « السيد رشيد رضا »
تأليف عضو مجمعنا العلمي الامير شكيب
أرسلان ، وفي هذا الجزء من المجلة
بيان وتقريظ لهذه السيرة الجليلة .

يقول أمير البيان في حاشية الصفحة ٣٤٦ من هذا الكتاب ما نصه :

« كنت دائماً إذا وجدت في كلام السيد لفظة لا أجد لها أصلا في اللغة أعترض عليه فيها ، وأسأله عن الوجه الذي عنده في هذه اللفظة ، وكان هو يفعل معي كذلك ، وسنورد جل ما وقع بيننا من المطارحات اللغوية لأن فيها فوائد لطلاب العربية . »

جاء في رسالة للسيد رشيد رضا رحمه الله ص ٣٤٤ ما نصه :

(الدعاية) وردت في كتاب النبي (ص) إلى هرقل قال : « أدعوك بدعاية الإسلام » كما في كتاب « بدء الوحي » من أول صحيح البخاري ، وهي كالدعوة الكثيرة الاستعمال في كل ما يدعى اليه ، فأحييت استعمال الكلمة الطريفة في الدعوة الخاصة بالمذاهب العامة من سياسية ودينية ، واتبعني بها كثير من الكتاب (١) .

وجاء في رسالة أخرى للسيد رشيد ص ٦٩٥ ما نصه :

« سألتني في كتاب سابق عن كلمة دعاية وقد خطرت في بالي الآن فذكرتها

هنا بغير مناسبة لئلا أنساها بعد كما نسيتها من قبل فأقول : انها وردت في أصح الروايات في كتب النبي (ص) إلى الملوك كما تراه في البخاري وغيره ، وأنا الذي روّجتها في الاستعمال ، فهي من شواهد حجتك على الذين ينكرون كل ما لم يرد في كتب المعاجم المتداولة ، ونقل رواة الصحاح من الحديث أوثق من رواة اللغة ، وقد ورد دعاوة بالفتح في دعوة النسب وقلب الواو في الكسر ياء لمناسبة الكسرة ، وهذا القلب جائز لا واجب كما ورد في القوام والقيام » ٠

وجاء في رسالة أخرى للسيد ص ٦٦٨ ما نصه :

« وأما المنتقد اللغوي فقد ذهب به الادلال بنظرياته إلى الجرأة على ما نقول في الحديث النبوي ، فلفظ الدعاية ثابت في رواية البخاري وفي أصح الروايات ، وهو مقيس ومثله الشكاية من شكا يشكو ، وهو أيضاً منقول في لسان العرب ومستدرك الزبيدي على القاموس (٢) ... هذا وإنني لم أذكر لك أن لفظ الدعاوة قد ورد في اللغة إلا لبيان أن كون أصل المادة واوية لا يمنع قلب الواو ياء لمناسبة كسر أول الكلمة ، وجملة القول أن لفظة الدعاية وردت بأصح الروايات وهي مقيسة ٠ »

وعلق مؤلف هذه السيرة الرشيدية الامير شكيب أرسلان على الرقم (١) من الشذرة الأولى ما نصه :

« نعم قد صار هذا الاستعمال تماماً في معنى ما يسميه الافرنج (بروباغندا) وقد سألت السيد رشيداً عن مصدرها فأجابني بهذا الجواب ، وسألت غيره من علماء الحديث مثل الاستاذ تقي الدين الهلالي المغربي السجلماسي فأيد كلام السيد رشيد ، وقد جاء في لسان العرب خبر هذا الكتاب من النبي عليه السلام إلى هرقل : « أدعوك بدعاية الإسلام » أي بدعوته ؟ ولكنه قال بعدها : وفي رواية « بداعية الإسلام » وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة ، والنصر صاحب المصباح على الدعاوة ، ولهذا تمسك بعضهم بأن دعاية قد تكون خطأ نسخ ، وأن أصلها الدعاوة لا يجوز غيرها ، وعللوا ذلك بأن الفعل واوي ، وأن الدعاية بالياء ، والحقيقة أن نسخ البخاري لا تعد ولا تحصى ، فلو كانت الدعاية من خطأ النسخ

لكان العلماء أصلحوها ، ومن المعلوم أن علماء اللغة في المحدثين كحمصى البطحاء ، فليس السيد رشيد رضا وحده بالذي روى ذلك ؛ وأما كون الفعل واوياً قد يَنِم من انقلاب الواو ياء ، ولذلك أمثال كثيرة ، جاء في لسان العرب : سنت السانية تسنو سنواً إذا استقت ، وسناية وسناوة ، وهو في صيّابة قومه وصوابة قومه ، والنقاوة والنقاية من كل شيء ، والنقاوة والنقاية من كل شيء ، وهي النقية والنقوة ، وداهية دهواء ودهياء ، وله غنم قنوة وقنية وقنوان وقنيان ، وأهل العالية يقولون القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ، وأتوت به أتاوة وإتاية ، ورغاية اللبن ورغاوته ، وجباية الخراج وجباوته وهو بلو سفر وبلي سفر وهلم جراً مما لا يحصى .

وجاء في التعليقة الارسلانية على الرقم (٢) من الشذرة الرشيدية الثالثة ما نصه :

« جاء في مخصص ابن سيده صفحة ١٩ من الجزء الرابع عشر ما يلي :
وأرى كيف تدخل الياء على الواو ، والواو على الياء من غير علة ، إما لمعاقبة عند القبيلة الواحدة من العرب ، وإما لافتراق القبيلتين في اللغتين ؛ فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فلا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف ، قال الأصمعي : سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري لمن أمسى من القوم شاخصاً لقد نال خيصاً من عفيرة خائصا

فقلت : ما معنى خيصاً خائصاً ؟ فقال : أراه من قولهم : فلان يخوّص العطاء في بني فلان ، أي يقلله » فكأن خيصاً شيء يسير ، ثم بالغ بقوله : خائصاً كما قالوا موت مائت ؛ قلت له : فقد كان يجب أن يقول : لقد نال خوصاً إذ هو من قولهم : هو يخوّص العطاء ، فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة لأهل الحجاز وليست بمطردة في لغتهم ، وأنا أذكر منها بحسب ما يحضرني إن شاء الله .
قال ابن السكيت : أهل الحجاز يسمون الصوّاغ الصياغ ، قال : ويقولون المياثر والمواثر ، والمواثق والمياثق (وأخذ يورد من الأمثال) المثاوب والمثايب

وشيطه وشوّطه ، وقد دوّخوا الرجل وديخوه ، وقد فاد يفود ويفيد في الموت ، وعار يعور ويعير إذا ذهب ههنا وههنا ، وغارني الرجل يغيرني ويغورني إذا أعطاك الدية ، وقد تحيزت وتحوّزت ، وتوّهت الرحل وتيهته ، وطوّحته وطيحته ، وماهت الركية تموه وقد قيل تميه وتماه ، ويقال طال طِوَلك وطال طيلك ، وضاره يضيره ، وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني ، وأن فلاناً لسريع الأوبة وقوم يحوّلون الواو ياء ، فيقولون سريع الأيبة ، وقوم يقولون : لاته يليته ولغة أخرى يلوته ، إلى أن يقول :

تبوّغ الدم بصاحبه غلبه ، وفي الحديث : إذا تبيّغ الدم بصاحبه فليحتجم وما أعيج من كلامه بشيء ، وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامه ، ويقال : هو من صياية قومه وصوّابة قومه ، وثور وثورة ونيرة ، وقد تصيّح البقل إذا هاج وتصوّح ، وتصيّم ، وتصوع وأقاوم وأقايم ، وتهير الجرف وتهور ، وفاحت ريحه تفيح فيحاً وفاحت ريحه فوحاً ، والطوع والطيع ، ويقول بعضهم : حكوت عنه الكلام أي حكيت ، وطا الماء يطمي ويطمو ، وكذلك ينمي وينمو ، ومقا الطست أي جلاها يمقوها ويمقيها ، وقد نثوت الحديث ونثيته ، وفليت رأسه بالسيف وفلوتُ ، وفأيت وفأوتُ ، وداهية دهياء ودهواء ، وغنم قنوة وقنية ، والنقاوة من كل شيء خياره ، والنقاية والنقاوة ، وعزيته إلى أبيه وبنو أسد يقولون : عزوته الى أبيه ، وحثيت عليه التراب وحثوته ، وما كان مرضياً ومرضواً ، وأهل العالية يقولون : القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ؛ وحكى الفراء عن الكسائي : سناها الغيث يسنوها فهي مسنوّة ومسنية ، وسحوت الطين عن الارض وسحيته ، وقد أتوتُ به إتاية وأتاوة ، ورثوته ورثيته ، ورغاية اللبن ورغاوته ، ومحوت أمحو ومحيت أمحي ، وجبوت الخراج وجبيته جباوة وجباية ، وطغوتَ يا رجلُ وطغيت ، وهذوت وهذيت ، ولحوت العصا ولحيتها وطهيت اللحم وطهوته ، وقد صفوتَ وصفيت ، ولغوت ولغيت ، وعلوت وعايت وسلوت وسليت ١٠ اه باختصار .

ولم يذكر الفيروزابادي إلا الدعاوة بالواو ؛ ولكنه ذكر أن دعيت لغة في

دعوت ، وذكر الزبيدي فيما استدركه على القاموس دعاية الاسلام بكسر أوله وهي دعوته .

وقد أعاد الاستاذ الرشيد طبع « آخر بني سراج » في مطبعة المنار ، وهي رواية شاتوبريان المشهورة التي كان الأمير شكيب قد عرّبها في شباب آدابه ، فعثر السيد رشيد على بعض ألفاظ وتعابير لم يرض نسبتها إلى أمير البيان فأرسل إليه رسالة لغوية مطولة ص ٣٨٣ نقتصر منها على ما يلي ص ٣٨٥ :

« النوع الثاني ما هو من الاصل وسببه في الاكثر كثرة استعمال المعاصرين وهو قسمان : أحدهما المفردات والثاني الجمل والأساليب ، فمن المفردات قولكم : الخطر المحيق (هذه وقعت سهواً) ، والصواب في مثله الثلاثي كقوله تعالى : (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ويعدى حاق بالهمزة فيقال : حاق به السوء وأحاق الله به .

وبشبهها قولكم : ضجة مهولة ، وإنما يقال : هاله الأمر أو الخطب ، وفي الأساس : أمر هائل وهوّل الأمر جعله هائلا ، ثم في مجازه : مكان مهول أي فيه هول ، ولا يظهر مثله في وصف الضجة ، وإنما صححت مثل هذا مع علمي باحتجاجكم أو إمكانه بمثل « مكان مهول (١) »

ومنها قولكم : (إن هذا لنبأ عظيم) وهنا غيرتُ الموصوف فقلتُ : الخطب عظيم ، لان النبأ خاص بالكلام ، وليس المقام مقام كلام بل مقام وصف ابن سراج لأرقه وذله .

ومنها (ارتياد العاشيب) والعاشيب نص في سياقكم فإنها النبذ المتفرقة من العشب ، وأظن أن هذه من غلط الطبع ، وإلا فهي من سبق القلم ، والاول أرجح ، فإن الكلمة من الفرائد غير المستعملة عند ضعفاء الكتاب الذين جنوا على جهابذتهم (إنما كتبتها تعاشيب وأردت أن أحيي بها كلمة فصيحة مجهولة تقريباً عند ضعفاء الكتاب) .

الثاني : الجمل والأساليب ، وما استنكرته من هذا القسم أكثر من غيره وقد كاشفتكم بشيء منه قبل الشروع في الطبع ، فعلمتم مما رجعتم إليّ من القول فيه : ان بعض ما هو قطعي عندي أو قريب من القطعي مما يترجح أو يمكن أن يكون موضع بحث وجدال طويل عندكم ، فصححتُ ما رجحت أو جزمت باستحسانكم لتصحيحه إن لم يكن لاعتقادكم بأنه خطأ أو غير فصيح فلاعتقادكم بأن بدله صحيح فصيح أو أنه أفصح ، وأذكر بعض الأمثلة على هذا القسم غير مرتبة :

(١) قولكم : (ومرت الفلك بريح طيبة) استبدلت به (وجرت الفلك به بريح طيبة) ووجهه أن السرى خاص بما كان في الليل ، ولا محل لهذا التخصيص ، وان ما ذكرته موافق لقوله تعالى : (وجرين بهم بريح طيبة) وقد خطر ببالي أنكم أردتم استعمال أسلوب القرآن فلم تذكروا الآية ، وقد راجعت أستاذنا (الشيخ محمد عبده) مرة في كلمة كتبها في مقالات الإسلام والنصرانية مخالفة لاستعمال القرآن وهي صواب في نفسها ، وكانت المراجعة كتابية فكتب إليّ بأن أصححها أو أغيرها ، وعلل ذلك بأنه لا يجب مخالفة أسلوب القرآن ولو إلى صواب ، والكلمة المذكورة « نصح له » أو « وهب له » لا أتذكر أيهما الآن .

(٢) مثل (وما هو ذلك القصر) ، وهذا مما يكثر في كلام المعاصرين وهو مأخوذ من اصطلاح المناطقة في السؤال عن ماهية الشيء ، وكلمة الماهية مشتقة منه ، وهو من اصطلاحهم وقلدهم كثيرون والضمير فيه (هو لا حاجة اليه ولا مرجع له) والمدققون من الكتاب ومصححي الانشاء في وزارة المعارف يتحامونه ويمجون الضمير مما يصححون ، وفي الكتاب العزيز : (قال وما رب العالمين) .

(٣) قولك : (ولذلك فإن بقايا آياته) وفيه ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، وان الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه في أكثر هذه الاستعمالات

التي كثرت جداً في اسلوب المعاصرين غير المدققين ، والوجه في الجمع بينهما تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك يقال كذا .

(٤) كلمة (فضلا عن كذا) في مقام الاثبات ، وقد تكرر في كلامكم لانه صار من الاستعمال المألوف عند العلماء منذ قرون ، ولكن المتقدمين قلما يستعملونه الا بعد النفي ، لما لهم من التخريج النحوي له مع تصريح بعضهم بأنه ليس من كلام العرب ؛ فتقدير الكلام في (فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار) : أنه فقد ملك درهم فقداً فاضلا وزائداً عن فقد ملك دينار الخ... ولا بد ان تكونوا اطلعتم على هذا ونسيتموه ، ولا سيما عند الاستعمال فحريتم على ما تقرأون دائما في الكتب والجرائد ، وكم وقعت أنا وغيري في مثل هذا ، ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصارى الى الماء : (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فبمَ تنصب كلمة فضلا هنا ؟

واستعمال (يلزمهم) هنا بمعنى يحتاجون اليه لا أعرف له أصلا في اللغة ، وإنما هو عصري حديث ، ولكن لا ادري متى كان استعماله ، ولعلكم تعرفون له اصلا فانني لم أراجع عنه باستقصاء؟

ومنه قولكم في وصف غناء أو ماء (وتجود بكل نغمة يترنح لها الجلمود فضلا عن كون الموسيقى الاسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا وكذا تفعل كذا وكذا) فيجوز ان تكونوا اطلعتم على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال ، ويجوز أيضاً ان تكونوا قد اطلعتم على نص فيه لم نطلع عليه نحن، ولا مثل أبي حيان الاندلسي الذي بحث ما لم نبحث ؛ ولكن ما أظن انه يسخطكم تغيير هذا الاستعمال أنا وأمثالي مما لا تنكرونه بدليل انكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ ، على أني لا اتذكر أني غيرت هذا الاستعمال في كل مكان ، وإنما عرفت هذين الموضعين لانهما مما كنت وضعت عليه علامات الاستنكار.

(٥) يقرب من هذا الاستعمال مثال قولكم : (ولكن كأني بهذا الطريق بدلا عن أن يزداد بهم حركة وأنساً ازداد وحشة ووحدة) وقولكم (ولكن وا أسفاه بدلا من قرع الطبول لم يكن حول ابن حامد إلا السكوت التام)

فيقف الذهن هنا في (بدلا) المنصوبة حتى يجيء ما بعدها فيلتمس لها ناصباً بالتقدير في الكلام، وبتأخيرها معا يتعلق بها يزول هذا التعقيد، ومن الخطأ في الجملة الاولى وضع (عن) مكان (من) والمنقول (بدل منه) كما في الجملة الثانية، وربما كانت الاولى من غلط الطبع، والمعاصرون يستعملونها.

(٦) ومثله فيما تقدم وحقه التأخير قولكم (وأصلحته تزيد رونقا وجلالا صباحة وجهه) فصباحة وجهه مفعول أول، ورونق مفعول ثان، وتقديمه خلاف الاصل، فلا ينبغي الا لضرورة شعر او نكتة من نكت المعاني، وانا أعتقد انك اذا لم توافقني الان على هذا فلعله انك ألفت قراءة هذه الرواية لانها من أوائل ترجمتك، بل أعتقد انك لولا هذه الالفة لصححت منها عند قراءتها الاخيرة الفاظاً وجملاً كثيرة مما لا تراك تستعمله الان، واعيد التذكير بأن المراد تصحيح ما ينافي الفصاحة والبلاغة لا ما ينافي قواعد الاعراب ومفردات اللغة فقط.

(٧) قولك (ثم تحفزا وتواثبا الواحد على الآخر) ولا يعزب عنك ان معنى تواثبا وثب احدهما على الآخر، فلا حاجة معها الى قولك: الواحد على الاخر.

(٨) ومثله (وصاروا يتظاهرون بعضهم على بعض) وهو ما يسمونه لغة البراغيث والفصيح يتظاهر بعضهم على بعض.

(٩) وأبعد منها عن الفصاحة بل عن الصواب قولك: (وبقيت سرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضاً)، فانه من عدوى الجرائد وأمثالها من مكتوبات المعاصرين التي لا تقبلها لغة البراغيث وبتجنبها من دونك من الكتاب المتأنقين.

(١٠) وأتذكر ان مما تكرر وهو لا يرضيك الان مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد، والمنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) فان وجد نقل للاول فلا اذكره ولا أجد وقتاً للمراجعة الطويلة وحسبي من القصيرة اختصار أساس البلاغة على قوله: وعنده نحو من مائة رجل.

(١١) قولك: وكانت المقبرة عبارة عن روضة معروشة من النارنج والسرو والنخيل، كلمة (عبارة) خاصة بالكلام، واستعملها كثير من علمائنا في تفسير بعض الكلم أو تعريف بعض الاصطلاحات اللفظية، وأنكر هذا بعض اخواننا

من نظار المدارس في احدى جلسات المجمع اللغوي فصوبت كلامه في مثل هذا الاستعمال الذي يكثر في الجرائد وأمثالها فقط ، وفي العبارة ايضاً ان المعروش من الشجر والنجم ما كان كالدوالي ، وغير المعروش ما كان كالسرو والنخيل ، وهو ما حققناه في تفسير « جنات معروشات وغير معروشات »

(١٢) قولك : (ان يصلح ذات البين بين الفرسان) الوجه ان يقال : ذات بين الفرسان بالاضافة فقط كما قال تعالى : « واصلحوا ذات بينكم » .

(١٣) قولك في حث البغال وزجرها : (بأن يناديها تارة يا جهدة يا ضربعة ، او ان يزجرها طوراً بقوله عدس ، لا حاجة هنا (لأو) ولا (لأن) فالمقام مقام الواو وحدها .

هذا بعض ما بذلت من الاجتهاد في تصحيح كتاب أجل اصدقائي فضلاً وادبا ووطنية وخدمة للامة من طريق المساعي السياسية وقثات اليراع ، الى ان يقول : وما جريت معك في هذا الا على الطريقة التي استقمت عليها في معاملة شيخنا الاستاذ الامام في عهده وبعد عهده ، فقد كنت اراجعه في حالة القرب بما أرى انه يحتاج الى اصلاح لفظي او معنوي من كلامه فيسر بذلك جد السرور ويعمل به ، وكنت اصحح في حالة البعد ما أقطع بأن تغييره اولى ، وقد علقت على رسالة التوحيد حواشي لا تخلو من تخطئة الاصل ، وقد اذن لي بتصحيح خطابه الذي ألقاه في تونس بعد ان طبع فيها مصحفاً بقلمه ، ولم يبال ان يرى علماء تونس وادباؤها ان ما طبع في المنار اصح مما طبع عندهم ، فقد كانت هذه المعاملة من استاذنا الاكبر في الانشاء وعلوم البلاغة سبباً في تمكن تلك العادة التي اشار اليها سيدي الامير ، واعترفنا له مع ذلك بالحق فيما انتقده منها ...

هذا بعض ما جاء في هذه الرسالة اللغوية الطويلة ، وقد راجع الأمير صديقه الرشيد في كثير من تصحيحاته ، منها لفظة مهول فقد علق عليها بقوله : « كلام نجز لفظة مهول لأجل قولهم مكان مهول ، بل لورود مهول في الكلام العربي . جاء في لسان العرب : وهول هائل ومهول ، وكرهها بعضهم وقد جاء في الشعر الفصيح وقال :

ومهول من المناهل وحش ذي عراقين آجن مدفان

وتفسير المهول أي فيه هول ، والعرب إذا كان الشئ « مهولة » أخرجوه على فاعل مثل دارع ذي الدرع ، وإن كان فيه أو عليه أخرجوه على مفعول كقولك مجنون فيه ذاك ومديون عليه ذاك اه وقد قال بديع الزمان الهمذاني لأبي بكر الخوارزمي في المناقشة التي جرت بينهما مرتجلاً :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول

وبديع الزمان يحمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه

وناقشه الأمير في عبارة (وما هو ذلك القصر) بقوله : لا شك أن القاعدة هي ما قال ، ولكن ليس يخطأ أن يقال « ما هو ذلك القصر » وما في ضربه ، وقد ورد كثيراً في كلامهم وذكر سيبويه أن هذه الضمائر : أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم وهن وأنتن وهما وأنتما وأنتم تأتي وصفاً للمضمر المجرور والمنصوب والمرفوع وذلك قولك مررت بك أنت ورأيتك أنت وانطلقت أنت، وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت مررت بزيد الطويل ، ولكنه بمنزلة نفسه إذا قلت مررت به نفسه وأتاني هو نفسه ورأيته هو نفسه ، وإنما تريد بهن ما تريد بالنفس إذا قلت مررت به هو (إلى أن يقول) : واعلم أن هذا المضمر يجوز أن يكون بدلاً من المظهر وليس بمنزلته في أن يكون وصفاً له لأن الوصف تابع للاسم مثل قولك رأيت عبد الله أبا زيد ، فأما البدل فمنفرد كأنك قلت زيداً رأيت أو رأيت زيداً ثم قلت إياه رأيت وكذا أنت وهو وأخواتها في الرفع . وأورد سيبويه قوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » وقال : صارت « هو » هنا بمنزلة ما إذا كانت لغواً في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر ، واعلم أنها تكون في إن وأخواتها فصلاً وفي الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لأنه مرفوع قبل أن تذكر الفصل (قال) : واعلم أن « هو لا يحسن أن تكون فصلاً حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام (قال) : وقد جعل ناس كثير من العرب « هو » وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني

عليه ، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول أظن زيداً هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون (وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون) وكان أبو عمرو يقول : إن كان لهو العاقل ، ثم يقول سيبويه إن « هو وأخواتها » يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك ما أظن أحد خير منك وما أجعل رجلاً هو أكرم منك ، فلم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة وكما أن كلهم وأجمعين لا يكرران على نكرة فاستقبلوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة فلم تصر فصلاً إذاً لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة اه

وقد جاء في مغني اللبيب لابن هشام أن « ما » نكرة متضمنة معنى الحرف وأن « ما » الاستفهامية معناها أي شيء نحو : ما هي ؟ ما لونها ؟ وما تلك بيمينك ؟ قال موسى : ما جئتم به السحر وذلك على قراءة أبي عمر وآلسحر بمد الألف فما مبتدأ والجملة بعدها خبر ، وآلسحر إما بدل من ما ولها قرن بالاستفهام وكأنه قيل آلسحر جئتم به ، وإما لقدير أهو السحر أو السحر هو ، ويقويه قراءة عبد الله ما جئتم به سحر ؛ إذاً لو قيل ما هو السحر مثلاً « فما » مبتدأ والجملة بعدها خبر والسحر بدل من ما ، وقد سألت عن هـذا الاعتراض العلامة السيد تقي الدين الهلالي السجلماسي فاستغرب وقال لا أظن أن السيد رشيداً يمنع جوازه كما أنه لم يتبين لي أن الجملة منافية للبلاغة وقال : ما هو ذلك القصر ، الضمير يعود على القصر وإن كان متقدماً لفظاً فهو متأخر رتبة لأن « ذلك » مبتدأ والقصر بدل وجملة « ما هو » خبر ووجب تقديمها من أجل ما الاستفهامية .

وأما إنكار السيد رشيد على الأمير قوله (ولذلك فإن بقايا آبائه) بحجة أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وأن الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه وأن الوجه تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك كان كذا ، فقد رده الأمير مستدلاً على صحة قوله ص ٣٩٠ بما نصه : « إن هذا الاستعمال وارد من القديم حتى في كلام سيبويه نفسه ففي الكتاب صفحة ٣٩٠ من الجزء الأول يقول : فلي هذا فأجر ذا الباب . وفي الجزء الأول أيضاً صفحة ١٨٩ : فعلى

هذا فقس المعرفة ٠ وفي الجزء الثاني صفحة ٩٧ : فكذلك نفس هذه الأشياء ، وفي صفحة ١٦٧ : فعلى هذا فقس هذا النحو ، ومثله ما لا يحصى في كلام أئمة اللغة قديماً وحديثاً ، وابن هشام وهو من هو في النحو يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني من مغني اللبيب الذي عليه حاشية الأمير : وعلى هذا فلا يصح استئناف ما الخ ... وقال في الآية الكريمة « وما بكم من نعمة فمن الله » الأرجح أنها موصولة وأن الفاء داخلة على الخبر لا شرطية والفاء داخلة على الجواب اه ، وقال الله تعالى : (والذين كفروا فتعساً لهم) ٠

وأنكر رحمه الله على الأمير استعماله في مقام الإثبات (فضلاً عن كذا) فرد إنكاره بقوله : إن استعمال (فضلاً عن كذا) بمعنى زيادة عن كذا مستفيض في كلام المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تتبع كلام القوم ، وإن كنا لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال ؟ وقول ابي حيان الاندلسي انه ليس من كلام العرب لا يدل على عدم جوازه لاننا لو تفقدنا كلام المؤلفين من بعد الاسلام الى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن يعرفها العرب ليس في الامور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في الامور المتادة الاجتماعية ايضاً ، فقد استعمل العرب بعد الاسلام جملا وألفاظاً لا يأخذها الاحصاء ، لو نشر عرب الجاهلية والقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا عرفوا المراد منها حتى انهم قالوا ان بدوياً سئل عن القلم فلم يفهم معناه فقيل له : ماذا تتصور من كلمة القلم ؟ فقال : أتصور انه شيء يقطع أو يقلم ولا أقدر أن أفهم شيئاً وراء ذلك ٠ وبقي العرب بعد الاسلام بكثير يتحامون كثيراً من الاصطلاحات قال سيبويه في باب الجموع : إعلم انه ليس كل مصدر يجمع كالاشغال والعقول والحلوم والالباب ألا ترى انك لا تجمع الفكر والعلم والنظر ١٠اه٠ فتأمل الآن لغة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر ... والحال انه لا يكاد الكاتب يتحدث بفقه

اسطار حتى يفطر الى ذكر العلوم والافكار والانظار وهي مستفيضة في النظم والنثر فقولهم (فضلا عن هذا) زيادة على هذا لان الفضل هو زيادة، وقد رأيت في بعض كتب المتقدمين قوله : فضلا عن كذا وزائداً على كذا . نعم ان اكثر استعمال فضلا عن كذا يجيء بعد نفي ، ولكن قولهم ان ذلك في الاكثر صريح بأنه قد يجيء ايضاً بعد ايجاب ، والسيد رشيد رحمه الله قبل ان كتب الينا هذا الاعتراض قرأ ما جاء في « المصباح » فانه يقول : لا يملك درهما فضلا عن دينار وشبهه معناه لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار أولى بالانتفاء وكأنه قال لا يملك درهما فكيف يملك ديناراً وانتصابه على المصدر والتقدير فقد ملك درهم فقداً يفضل عن فقد دينار . وقال قطب الدين الشيرازي في شرح المفتاح : إعلم ان فضلا يستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى ويراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعماله ان يجيء بعد نفي . وقال شيخنا ابو حيان الاندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : ولم أظفر بنص على ان هذا التركيب من كلام العرب وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم . اه .

وقد نقل الزبيدي في شرح القاموس ما ورد في المصباح عن قضية (فضلا عنه) أما سؤال الاستاذ عن اعراب فضلا في قولي (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم لا يملك درهماً فضلا عن دينار ، وتخريجه ان الماء يلزم المسلمين لاجل الوضوء لزوماً فاضلا عن لزومه للشرب . أما استعمال (يلزمه) (ويلزم له) فهو ايضاً مستفيض اكثر من استفاضة الاول ، ومعنى لزم ثبت ودام وكأنهم لحظوا ان ما يحتاج اليه الانسان بصورة دائمة يعد من الامور اللازمة أي التي يحتاج اليها الانسان لزاماً فصار هذا الاصطلاح يفيد معنى الاحتياج ولولم يكن كذلك في الاصل . وقد سألت العلامة السيد تقي الدين الهلالي المتقدم الذكر عن جملة : (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فأجاب : الذي يظهر لي أن هذا جائز وان نصبه على المفعولية المطلقة كما ذكرتم

سائغ (قال) وبدا لي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالا بمعنى فاضلا من فاعل يلزم وتقديم الحال جائز . قال ابن مالك :

والحال ان ينصب بفعل صرفا   او صفة أشبهت المصرّفا

فجائز تقديمه وهو هنا كذلك فان (يلزم) فعل متصرف ، واما كون المصدر حالا فكثير قال ابن مالك :

ومصدر منكر حالا يقع   بكثرة كبغتة زيد طلع

وفي ذلك خلاف معروف .

وراجع الامير في استعماله مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد لان المنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) ، فأجابه الامير بما يلي : متفق على ان الافصح ان يقال « نحو من كذا » ولكن ليس بغلط إن قيل نحو كذا وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيبويه وليس مرة واحدة فقد جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٥ من طبعة الكتاب في باريز ما يلي : وقالوا نظير كما قالوا وسيم فبنوه بناء ما هو نحوه في المعنى . وجاء في صفحة ٢٣٦ من الجزء الثاني : وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا وجاء في صفحة ٣٣٥ : وقالوا ضخم ولم يقولوا ضخيم كما قالوا عظيم ثم قال في الصفحة التي تليها : وقد يبنون الاسم على فَعل وذلك نحو ضخم وفخم وعبل وجهم اه ، ثم يقول : فهذا يدلك على انه نحو الطويل والقصير ، إذاً يجوز الوجهان ووضع (من) بعد (نحو) هو أولى . وسألت صاحبنا السيد الهلالي وهو الغاية البعيدة في النحو واللغة عن هذه المسألة فقال لي : نعم الافصح العربي الخالص (نحو من ثلاثمائة) ، واما المؤلفون من عهد سيبويه الى الان والشعراء فانهم اكثروا من ذلك ، والنحو من معانيه المثل كما هنا فلا إشكال في جوازه .اه.

وسألته أيضاً عن بقية اعتراضات السيد رشيد رحمه الله فقال : (بدلا من قرع الطبول الخ) يظهر لي ان السيد إنما اعترض هنا من جهة البلاغة وكان يدقق فيها كثيراً ، واما الجواز فلا أراه ينكره وأمر ذلك سهل إذ لا يخلو انسان ان يوجد في كلامه خلاف الاولى من جهة البلاغة .(قال) : واسلحته تزيد رونقاً وجلالاً صباحة وجهه) هذا الاعتراض ايضا من جهة البلاغة بلا شك

ويظهر لي أن الصواب فيه مع السيد رشيد لأن ركاكته بادية ولست أسمعه وما أجبتم به فيه أن استجلاب الفكر لصباحة الوجه أهم وأولى . (قال) : « وبقيت سرايا الفريقين تتردد إلى غزو بعضها بعضاً » جائز وليس هو من لغة الجرائد لأن لغة الجرائد ولغة عامة مصر أن يقال مثلاً : « وبقيت السرايا تتردد على غزو بعضهـا » ثم لا تخلو تلك العبارة من ركة ولو قيل : « وبقيت السرايا يغزو بعضها بعضها » كما قال تعالى : (وتركنا بعضهم يموج في بعض) لكان أولى اهـ .

وقد ختم الامير هذه المناقشات بقوله : تقدم لنا كلام في أننا ترجمنا هذا الكلام ترجمةً عن الافرنسية من أربعين سنة وراعينا فيه الترجمة الحرفية .

ويعثر قارىء السيرة الرشيدية في غير حواشي الرسائل على فوائد لغوية يحسن بنا نشرها إتماماً لهذه الطرائف الممتعة ، منها ما جاء في ترجمة السيد رشيد رضا لنفسه وفيهـا ألفاظ عامية يرويها السيد على سبيل الحكاية كلفظة (تعبان) ص ٢٧ ، قال الأمير معلقاً عليها ما نصه :

روى الأستاذ هنا لفظة (تعبان) على الحكاية ، والا ففي الصحيح لا يقال تعبان ، بل هو تعِب ومُتعب على وزن كتف ومكرم ؛ وعلق على لفظة « البخشيش » التركية أنها مصدر « بخش ابتمك » أي أعطى ، ومقابلها في العربي « الحلوان » أو ما يعطى للخادم « النُّحل » والنحلان بالضم ، وتأمل هنا أيضاً مشرب الشيخ رشيد رحمه الله في نقل الأخبار على علاتها .

وعلق الأمير على لفظة (صادرت) الواردة في كلام السيد ما نصه :

جاء في لسان العرب : ومن كلام كتّاب الدواوين أن يقال : صودر فلان العامل على مال يؤديه أي فورق على مال ضمنه . وهكذا نقل ذلك صاحب « أقرب الموارد » بلفظ « فورق » ولكن هذه العبارة نفسها منقولة في التاج بلفظ « قورق » بالقاف أولاً وهي في التاج غلط طبع أو نسخ إذ لا معنى « لقورق » هنا ؛ وأما « فورق » فهو للمجهول من فارقه

من حسابه على كذا إذا قطع الأمر بينه وبينه على امر وقع عليه اتفاقهما ومثله صادره على كذا ، وكله مولد ليس من كلام العرب الأُلى . وقد جاء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الهلال المحسِّن بن إبراهيم الصابي الكاتب المتوفى للسنة الثامنة والأربعين بعد الأربعمائة قوله في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات : « وصودر على مائة وعشرين ألف دينار وصح منها ستون فجيء به من محبسه الخ . . . وقوله عن لسان الخليفة المعتضد في ابن الفرات أبي الحسن وأخيه أبي العباس : أسأنا اليهما وصادرناهما . وقوله في موضع آخر : وسلم اليه عليّ بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلهما في دار بدر اللاني وقرر عليهما مصادرة خففها عن علي بن عيسى وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما ، وهكذا هذه اللفظة تدور كثيراً في أخبار ديوان الخلافة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أثر الرحلة في الحياة العلمية والادبية [1]

يكثر الراحلون من بلاد إلى اخرى ، والغاية من هذه المحاضرة النظر في رحلات أهل العلم والادب لنعرف كيف يكون للرحلة أثر عظيم في ترقية العلوم والآداب ، وتهذيب النفوس وإصلاح حال الاجتماع .

ولعل قائلاً يقول : إن فائدة الرحلة قد عرفها الناس على اختلاف أصنافهم وتفاوت طبقاتهم فهي من المعلومات الموضوعة على ظاهر اليد ، والحديث عنها صرف للوقت في غير جدوى فأقول : إني في شك من هذا ، فإن كثيراً ممن وهبهم الله القدرة على الرحلة وهيأ لهم وسائلها لا يقبلون عليها ويقصرون عنها ، انصرافهم عن الاشياء التي يرونها خالية من كل فائدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أني أريد التنبيه لما في الرحلة من آثار صالحة لأضعها أمام نشئنا حتى إذا خطر لهم ما في الرحلة من حرج وعناء نظر الى هذه الآثار الحميدة ، فيخف وزن تلك المتاعب وتذهب في جانب هذه الآثار هباء .

الرحلة في نظر الإسلام

لم يدع الإسلام وسيلة من وسائل الرقي ، إلا نبه عليها وندب إلى العمل بها ، وهكذا شأنه في الرحلة فقد دعا إليها رامياً إلى أغراض سامية ، مثل طلب العلم قال تعالى : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

(١) عنوان المحاضرة الممتعة التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي العلامة السيد محمد الخضر حسين عضو المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي المصري والاستاذ في كلية أصول الدين بالازهر، وذلك في ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٦ الموافق ليوم ١١ آب ١٩٣٧ .

قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . ويلحق بالتفقه في الدين كل علم يعد من وسائل الرسوخ في علوم الدين كالنحو والبلاغة ، بل يلحق بالتفقه في الدين كل علم يكسب الأمة قوة ويكون له أثر في نجاحها والاحتفاظ بعزتها كفن صناعة الغواصات والطيارات .

ومن هذه الأغراض أخذ العبرة من أحوال الأمم الماضية ، قال تعالى : قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، ويلحق بأحوال الامم الماضية أحوال الامم الحاضرة متى كان في النظر اليها عبرة ينتفع بها في الوصول الى سعادة الحياة ، ومن هذه الأغراض الرحلة من دار الضلال والبغي الى دار الهداية والعدل ، قال تعالى : ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله . هذه الآية وردت في قوم كانوا يقيمون في دار عسف وغواية فحرضهم على الرحلة إلى المدينة حيث يشدون أزر المسلمين ويقفون في صفوفهم ويكثرون عددهم ، واذا تشابهت البلاد في الاستخفاف بأمور الدين فعلى العالم المصلح أن يجاهد في سبيل الدعوة الى الحق والإصلاح بقدر ما يجد من حرية القول أينما كان .

ومن فرائض الاسلام ما لا يؤدى إلا بوسيلة الرحلة وهو حج البيت الحرام ، وفي الرحلة الى الحجاز في أشهر الحج جانب عظيم من معنى التجول في أقطار مختلفة ، حيث يلاقي فيها الرجل طوائف من امم مختلفة الاجناس متباعدة البلاد .

ولا يسعني المقام أن أسوق شواهد من عناية علمائنا بالرحلة لأمثال هذه الاغراض النبيلة ، وأكتفي بأن أسوق على هذه الغاية قصة جابر بن عبد الله الانصاري ، ذلك أنه سمع وهو بالمدينة أن عبدالله بن انيس بالشام يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ فاشترى بعيراً ثم شد رحله وسار الى الشام فسمع الحديث من عبدالله وقفل راجعاً الى المدينة .

المثبطات عن الرحلة وعلاجها

لاأريد من المثبطات عن الرحلة العوائق التي ليس في استطاعة الشخص علاجها، كفراغ يده من نفقات السفر وكقيامه على اسرة إذا فارقها وقعت في حاجة ونكد من العيش، بل أريد من المثبطات ما يعرض للنفوس الضعيفة ويغلب على أمرها، ولولا ضعفها لما كان له عليها من سبيل مثل استعظام مفارقة من يعز عليه من أقارب أو أصدقاء، سئل إمام الحرمين وهو على المنبر لماذا كان السفر قطعة من العذاب؟ فقال: لان فيه فراق الأحبة.

وفي الناس من يذكر ما في الرحلة من متاعب بدنية فيحجم عنها، وأكثر من يعرض لهم هذا المثبط اولئك الذين ينشأون في ترف والخلال عزيزة فيخشون ان يفوتهم ما اعتادوا من الرفاهية ولو زمناً قليلاً، ومنهم من يترك الرحلة حيث تضطره لركوب البحر فرقاً من أهواله، عزم الحافظ ابو الوليد هشام الوقشي على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال:

لا أركب البحر ولو أنني ... ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما إن رأت عيني أمواجه ... في فرق إلا تناهى الفرق

وقد يحجم الرجل عن الرحلة مخافة أن ترمي به بين أقوام لا يعرفون حسبه وأدبه فيلاقي من مرافقتهم أو معاشرتهم ما لا يليق بمنزلته ويرتاح له ضميره وقد أشار إلى ما يعرض للرجل من هذه الآلام النفسية الرحالة ابن جبير إذ قال:

لا تغترب عن وطن ... واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن إذا ... ما فارق الأصل ذوى

وأشار يحيى بن حكم المعروف بالغزال إلى أن الغربة سبب لفقد جانب من العزة. فقال:

فصمصام عمرو حين فارق كفه ... رموه ولاذنب لعجز المضارب
وما عزة الضرغام إلا عرينه ... ومن مكة سادت لؤي بن غالب

وتألم الرحالة بن سعيد الأندلسي حين نزل ببعض بلاد الشرق وناداه بعضهم باسم المغربي فقال:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنادى مغربياً ليتني لم أكن للغرب يوماً أنسبُ
نسب يشرك فيه خامل ونبيه أين منه المهربُ
أتراني ليس لي جد له شهرة أو ليس يدرى لي أب

وعلاج أمثال هذه المثبطات الناشئة عن ضعف النفس وقلة تمرينها على احتمال المكاره أن يذكر الرجل ما تأتي به الرحلة من ثمرات علمية أو أدبية عامة أو خاصة، فإذا وثقت نفسه بنبل غايتها وحسن عاقبتها سهل عليها كل صعب واستهانت بكل خطر، قال عبد الملك بن سعيد في وصية ابنه علي بن سعيد عندما عزم على الرحلة إلى الشرق:

وكل ما كابدته في النوي إياك أن يكسر من همتك

وعزم المأمون الخروج الى بعض الحروب فوقفت له جارية ممن شغف بهن ورغبت اليه ألا يخرج فقال لولا قول جرير:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

لما خرجت.

وأذكر أن أبا بكر بن العربي الاندلسي الذي قضى في رحلته ثمانية أعوام أورد في بعض كتبه مسألة من مسائل الخلاف حررها وهو في العراق وقال: لو لم أظفر في رحلتي إلا بهذه المسألة لكفتني، على أن ابن العربي قد لقي في رحلته نصباً في البحر ومخاوف في البر[1]

ليذكر الراحل أن ثمرة الرحلة لذيذة باقية، وأن تلك الآلام النفسية والمتاعب البدنية زائلة، قال القاضي محمد بن عيسى أحد الراحلين من الاندلس الى الشرق بعد أوبته:

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة إذا كان من بعد الفراق تلاق
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي ولم تمر كف الشوق ماء آماقي
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم بذات اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى وكأس سقاها في الأزاهر ساق

(١) أنظر كتاب القواصم والعواصم له.

وجاء في كتب الادب أشعار يرد ناظموها على من يحاول تثبيطهم عن الرحلة كما قال بعضهم :

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا   فقلت الى ذاك المقام أطوف

وقال ابن دراج :

ألم تعلمي أن الثواء هو التوى   وان بيوت العاجزين قبورُ

وربما كان المثبط عن الرحلة إعجاب الرجل بوطنه إذ يخطر له انه لا يرى في غير وطنه أحسن مما يرى فيه كما قال أبو القاسم عامر بن هشام :

يا من يزين لي الترحال عن بلدي   كم ذا تحاول نسلا عند عنين
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة   من شاء يظفر بالدنيا وبالدين

وإعجاب الرجل بوطنه واعتقاده انه أجمع لمطالب الحياة قد يمنعه من رحلة الانقطاع ولا ينبغي أن يمنعه من الرحلات المحدودة بزمان .

وترى من الادباء من يمتلئ قلبه حبا لوطنه ولكنه يتغلب على هذه العاطفة ويذكر الداعي الى الرحلة فتطمئن اليها نفسه كما قال ابن سعيد لما خرج من حدود افريقية :

رفيقيّ جاوزنا حدود مواطن   صحبنا بها الأيام طلقاً محياها
وما أن تركناها لجهل بقدرها   ولكن ثنت عنا أعنة سقياها
فسرنا نحث السير عنها لغيرها   الى أن يمن الله يوماً بلقياها

فوائد الرحلة

إذا درسنا تاريخ العلماء والأدباء الذين رحلوا عن أوطانهم ووجهنا النظر الى ما نتج عن رحلاتهم من فوائد عادت عليهم أو على قومهم أو على الاوطان التي نزلوا بها ، وجدناها من الاهمية بمكان يدعو الى ان تعد في مقدمة وسائل الرقي والتهذيب .

ماذا يستفيد الرجل من الرحلة

من أقصى ما يكسب الرجل في رحلته أن يعلم ما لم يكن يعلم ، كم من عالم

لم يبلغ المقام الذي يشار اليه بالبنان إلا بالرحلة . والباحث في تراجم العلماء يقف على أسماء رجال كثيرين بلغوا في العلم الذروة ، وانما بلغوها بما قاموا به من رحلات تقلبوا بها في مدن زاخرة بالعلوم ولاقوا بها كثيراً من اكابر العلماء مثل الامام الشافعي والحافظ بن عساكر و أبي الوليد الباجي وأبي بكر بن العربي وأسد بن الفرات ، ولابن خلدون في مقدمته التاريخية فصل افتتحه بقوله : أن الرحلة في طلب العلم مزيد كمال في التعلم وختمه بقوله : فالرحلة لا بد منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والتلقي عن الرجال .

والرحلة أثر في سمو الفكر إذ يأخذ الرجل فيها من التجارب ما لا يأخذه وهو مقيم في بلد لا يخرج منه الى غيره ، وقد يكونون بها عن قوة العقل وحسن التصرف في الامور ، وانظر الى بديع الزمان الهمذاني حين أراد الدلالة على كمال عقله كيف عبر عنه بركوبه ظهري البر والبحر ، إذ قال في كتاب الى القاسم العرجي : فإني وإن كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر .

والرحلة أثر في تهذيب الطباع ورقي الآداب ذلك أن كثرة ما يلاقيه الرجل في السفر من المشاق يقوي في نفسه خلق الحلم والمداراة وقد قال بعض الحكماء للغريب :

إن ترمك الغربة في معشر تطابقوا فيك على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

ولا يخلو الراحل متى كان بصيراً بمواقع العبرة أن يلاقي رجالاً ذوي آداب سامية فيقتبس من آدابهم ما يزداد به أدباً على أدبه ، وهذا ابن وهب رحل من مصر وتلقى العلم بالمدينة عن الامام مالك وقال : تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه ،وأقام يحيى بن يحيى بن بكير عند مالك بعد ان فرغ من سماع الحديث عنه وقال : إنما أقمت لاستفيد من شمائله .

وقد ينشأ الفتى في نبوغ ويضيق بلده عن انظاره الواسعة فيرحل الى مدينة تكون أوسع مجالاً للاراء الخطيرة فتعظم مكانته ويكثر الانتفاع بحكمته ، ولولا

الرحلة لما عظم شأنه ، ولما كثرت ثمرات نبوغه ، أذكر أن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ر عند خروجه من الشام بالكرك فتلقاه صاحبها وسأله الإقامة عنده ، فقال له الشيخ بلدك صغير عن علمي ، وتوجه إلى القاهرة . وأسوق شاهداً على هذا أن القاضي يوسف بن أحمد بن كج بلغ في العلم رتبة كبيرة ، قال له بعض من لقيه : يا أستاذ الاسم لأبي حامد الغزالي والعلم لك ، فقال القاضي : ذاك رفعته بغداد وأنا حطتني الدينور .

وقد تكون رحلة العالم أو الأديب من أسباب ظهور علمه أو أدبه وانتشاره في الآفاق ، قال الأديب أبو بكر المعروف بابن بقي :

ولي هم ستقذف بي بلاداً   نأت إما العراق أو الشآما
لكيما تحمل الركبان شعري   بوادي الطلح أو وادي الخزامى
وكيما تعلم الفصحاء أني   خطيب علم السجع الحماما
وقد أطلعتهن بكل أرض   بدوراً لا يفارقن التماما

وربما أدرك الرجل في وطنه ضيق عيش يخشى أن يعوقه عن الازدياد من العلم أو التفرغ لنشره بالتدريس والمذاكرة ، فيرحل حيث يلقى كفافاً أو يساراً يساعده على أن يقبل على الدرس والبحث بنفس مطمئنة : رحل القاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى مصر ، ونبه على سبب رحلته فقال :

سلام على بغدادَ في كل موطن   وحق لها مني السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قِلّى لها   واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ بأسرها   ولم تكن الأرزاق فيها تساعف

وكذلك قال أبو سعد النيرماني :

فقد سرت في شرق البلاد وغربها   وطوفت خيلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً   ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرق شمائلاً   وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائل لو كان حبك صادقاً   لبغداد لم ترحل فكان جوابيا

بقيم الرجال المضروب بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا

ومما يظفر به الرجل الفاضل في رحلته أن يتخذ في البلاد التي ينزل بها أصدقاء يغتبط بصداقتهم ، والصداقة الخالصة من ألذ ما يتمتع الانسان به في هذه الحياة ، وكتب الأدب مملوءة بالرسائل والقصائد التي دارت بين علماء وأدباء اختلفت مواطنهم وهي عامرة بروابط صداقات ناشئة بوسيلة الرحلة ، وهذا ابن خلدون ارتبط بصداقات كثيرة من علماء البلاد كلسان الدين بن الخطيب وابن زمرك ، وجرت بينه وبينهم مراسلات ، وأذكر من قصيدة بعث بها اليه ابن زمرك بعد نزوله مصر قوله :

بعيشك خبرني ولا زلت مفضلاً أعندك من شوق كمثل الذي عندي

ومثل الحافظ ابن عساكر رحل إلى بلاد العجم بعد بلاد العرب وأذكر من قصيدة بعث بها إلى صديقه أبي سعد السمعاني قوله :

أضيعت تذهب مودة بيني وبينك وانقطاعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا يستفيد قوم الرجل من رحلته

قد تحظى البلاد بالعز بعد انقطاعه عنها ، أو تقوم سوقه فيها بعد خمولها ، والفضل في ذلك لرجال يرحلون إلى الحواضر التي هي منبع العلوم ، ثم يعودون وقد امتلأوا مما اغترفوه من العلوم والفنون ، وقد بلغت الحالة العلمية بالأندلس بعد عودة أبي الوليد الباجي من رحلته الشرقية منزلة أرفع وأرسخ مما كانت عليه قبل أن يعود وارتحل أبو القاسم بن زيتون التونسي في أوساط المائة السابعة إلى المشرق فبرع في العقليات والنقليات ورجع إلى تونس فأمتعها بعلمه الكثير وأسلوب تعليمه البديع .

ويرحل العالم أو الأديب من وطنه وهو يحمل علماً غزيراً ويتحلى بأدب سني وينزل بين جماعات من بلاد مختلفة فيرونه مثالاً لأهل العلم والأدب من قومه فيرتفع شأن قومه في أنظارهم ، هذا إلى ما يصفه لهم من محاسن قومه أو ينقله اليهم من ثمرات أفكارهم .

ماذا تستفيد البلد ممن يرحلون اليها

يرحل العالم أو الأديب ، وينزل بلد ، فيبذر بها متى كانت في حاجة إلى أمثاله — علماً أو أدباً ، ومن ذا ينكر أن بلاد الاندلس قد استفادت من العلماء الذين رحلوا اليها من الشرق ، مثل تاج الدين بن حموية السرخسي ، وأبي علي القالي ، كما استفادت دمشق من أمثال ابن مالك وابن السبكي ، واستفادت مصر من أمثال أبي حيان وابن خلدون .

وهذا المعري يحمد السفر الذي جاء بالقاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى المعرة فقال :

والمالكي بن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
إذا تحدث أحيا مالكاً جدلاً وينشر الملك الضليل إن شعرا

وفقه البربر في علوم الدين عن عشرة من فقهاء التابعين بعثهم عمر بن عبد العزيز لهذا الغرض خاصة .

ونرى في تراجم كثير من العلماء الراحلين أنهم كانوا يلقون في البلاد التي ينزلون بها دروساً أو يدرسون بها علوماً يتلقاها عنهم بعض أهل العلم .

فرحلات العلماء والأدباء تنقل العلم والأدب من بلد إلى آخر على وجه أثبت وأنفع مما تنقله المؤلفات وحدها .

أثر الرحلة في تنمية العلوم

للرحلة فضل في نماء العلوم واتساع دائرتها ، وكم من كتاب يعد في علمه من أمهات الكتب هو وليد الرحلة ، ذلك أن أسد بن الفرات الراحل من القيروان إلى الشرق ورد مصر بعد أن تلقى العلم في الحجاز والعراق ، وألقى على ابن القاسم أسئلة يطلب الجواب عنها على مقتضى مذهب الامام مالك ، وجمع تلك الأسئلة وأجوبتها في كتاب كان يسمى الأسدية ، ثم رحل سحنون من القيروان بالأسدية إلى ابن القاسم ، وعرضها عليه ، وهذبها ، وأضاف اليها مسائل أخرى وصارت تسمى المدونة ، وهي المشار اليها بقول بعض أهل العلم :

أصبحت فيمن له علم بلا أدب ومن له أدب عار عن الدين
أصبحت فيهم فقيد الشكل منفرداً كبيت حسان في ديوان سحنون

وبيت حسان الذي لم يرد في المدونة غيره من الشعر قوله :

وهان على سراة بني لؤيّ حريق بالبويرة مستطير

ومن فضل الرحلة أنها حفظت جانباً عظيماً من التاريخ ، حفظته الكتب التي يودعها مؤلفوها ما شاهدوه في أسفارهم من وقائع وأحوال ، مثل رحلة ابن بطوطة ورحلة العبدري ورحلة ابن جبير ورحلة خالد بن عيسى البلوي وغيرها ، فانا نرى في هذه الرحلات أشياء لا نجدها فيما بين أيدينا من كتب التاريخ .

أثر الرحلة في ثراء الأدب

للرحلة أثر في ثراء الادب لا يقل عن أثرها في ثراء العلم ، فكم من قصيدة لا ينظمها الشاعر إلا حين يعزم على الرحلة لالقائها بين يدي ملك او وزير او وجيه مثل قصيدة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل الى منجاتها درسا

فان صاحبها ابا عبدالله بن الابار الراحل من الاندلس قد نظمها استنجاداً لأمير تونس وألقاها بين يديه .

ومما يرجع الفضل فيه للرحلة ذلك الشعر الوارد في التشوق الى الوطن او لاهل والاخوان ، ومن هذا الباب قول محمد بن يوسف الدمشقي يتشوق الى دمشق وهو ببلاد الروم :

بعاد يزيد الجوى والحنينا وبين يعلم قلبي الانينا
فراق أذاب الحشا أدمعا فأجرى بصافي الدماء العيونا

الى ان قال:

وجاد الحيا أربعاً بالشآم وسلم صحباً بها قاطنينا
رحلنا فما تابعتنا القلوب وسرنا فظلت لديكم رهونا

واذكر بهذه المناسبة ان استاذنا المرحوم الشيخ سالم ابا حاجب كان قد سافر

الى ايطاليا وبعث برسمه الى بعض اصدقائه في تونس وكتب عليه البيتين:

لما شكت شط النوى روحي التي ابقيتها عند الاحبة بالوطن
ارسلت تمثالي لها(١) بو ٱ عسى تسلو فلا تبغي التحاقاً بالبدن

أثر الرحلة في تعارف الشعوب

لا ينزل الرجل الفاضل بوطن إلا التقى بطائفة من فضلائه ، والشأن أن يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية ، ثم إذا عاد الى قومه ، وصف لهم حال الأوطان التي نزل بها ، فيكون كل من الشعوب التي رحل منها أو نزل بها ، على خبرة من حال الشعوب الاخرى .

وقد نبهنا على أن الرجل الطيب السريرة ، يتخذ في كل وطن أصدقاء ، وهذه الصداقات تمد فيما يربط بين الشعوب الرابطة الوثيقة ، وتعارف الشعوب بوسيلة العلماء والادباء ، يثير في نفوسهم عواطف الائتلاف والاحترام .

وإذا كان من أفضل آثار الرحلة عقد رابطة التعارف والتعاطف بين الشعوب ، فعلى المستطيعين منا أن يخصوا البلاد الشرقية بجانب عظيم من رحلاتهم ولو وجدوا في سبيل ذلك مشاق فوق ما يلاقونه في سبيل الرحلة الى البلاد الاجنبية .

أدب الرحلة

الآداب السنية كمال الانسانية ، فيجب على الانسان الاحتفاظ بها في وطنه ، كما يحتفظ بها في غير وطنه ، ورأينا بعض الحكماء يوجهون الى الغريب أو من رام الغربة عناية خاصة ، فيؤكد عليه في الاحتفاظ بالآداب الشريفة ، فقال بعضهم : يا غريباً كن أديباً ، ومن هذا القبيل وصية عبد الملك بن سعيد الاندلسي لابنه علي عند عزمه على الرحلة الى بلاد الشرق ، تلك الوصية التي يقول فيها :

اودعك الرحمن في غربتك مرتقباً رحماه في أوبتك
فلا تطل حبل النوى إنني والله أشتاق الى طلعتك

(١) البو جلد الحوار يحشى ثماماً او تبناً فيقرب من ام الفصيل فتعطف عليه ، فتدر .

وقال :

فليس يدرى أصل ذي غربة ... وإنما تعرف من شيمتك

ونبه لآداب سامية فقال :

وامش الهوينا مظهراً عفة ... وابغ رضا الاعين عن هيئتك
وكل ما يفضي لعذر فلا ... تجعله في الغربة من إربتك
ولا تجادل حاسداً ابداً ... فانه أدعى الى هيبتك

وقال :

وانطق بحيث العي مستقبح ... واصمت بحيث الخير في سكتتك

ومن أدب الراحل أن يصف البلاد التي يتزل بها فيذكر محاسنها ، ويغتبط بما يلاقيه بها من أهلها من احتفاء ومؤانسة · ورد تاج الدين بن حموية السرخسي بلاد المغرب ، فسأله سلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن قائلا : أين هذه البلاد من بلادك الشامية ؟ فقال السرخسي : « بلادكم حسنة أنيقة ، وفيها عيب واحد ، فقال السلطان : ما هو ؟ قال : إنها تنسي الاوطان · »

وممن قاموا على هذا الادب الجليل العلامة المقري صاحب كتاب نفح الطيب ، فقد نظم في الثناء على دمشق أشعاراً ، وتمثل فيها بأشعار ، ومما أنشده قول شمس الدين الأسدي :

إذا ذكرت بقاع الارض يوماً ... فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل في وصفها لا في سواها ... بها ما شئت من دين ودنيا

وأختم هذه المحاضرة بأبيات خطرت لي معانيها عند ما نزلت دمشق ، واني لست بشاعر ولكنني درست علم العروض ، فأستطيع أن أقول كلاماً موزوناً ، والى حضراتكم هذه الابيات :

زارها بعد نوى طال مداها ... فشفا قلباً مجداً في هواها
راح نشوان ولا راح سوى ... أن رأى الشام وحياه شذاها

نظرة في ساحها تذكره   كيف كان العيش يحلو في رباها
ما شكا فيها اغترابا وإذا   حدثته النفس بالشكوى نهاها

* * *

من يحث العيس في البيد الى   بردى يحمد للعيس سراها
فهنا قامت نوادي فتية   تبلغ النفس بلقياهم مناها
أدب يزهو كزهر بهج   أرشفته السحب من خمر نداها
وخلائق لو نصح الحسود به   ناصح لاتخذت منه حلاها
ملأوا جلق أنسا فأرى   ليلها طلق المحيا كضحاها
شد ما لاقوا خطوبا فانتضوا   مرهفات العزم طعنا في لهاها

* * *

عزة الامة في نشء إذا   نشبت في خطر كانوا فداها
وجناحا فوزها استمساكها   بهدى الله وإرهاف قناها
هي عين والمدى إنسانها   فاذا ما فقئت لاقت عماها

* * *

رتل الذكر مليا تره   يغرس الحكمة أو يدني جناها
أطلق الافكار من أصفادها   فمضت ترعى الثريا وسهاها
خض علوم الكون أحقابا وسر   في سماها إن تشأ أو في ثراها
لا ترى في الدين إلا مغريا   بجلاها أو مزيحا لقذاها

* * *

ذكرونا سلفا قاموا على   سيرة غراء والدهر طواها
أمة يذكي التقى غيرتها   مثلما يذكي الندى نار قراها
شرف لو آنسته الشمس في   افقه الأعلى لظنته أباها

***

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو يجدي مجد أسلاف إذا غرقت أجفان خائف في كراها
امة تلهو بذكرى تالد عن طريف لم ترم عهد صباها

* * *

فابعثوها همما تسمو كما سمت الجوزاء تزهو في سناها
ما الفخار الحق إلا نهضة أحكم الإيمان والعلم عراها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تم

دور الكتب

في حلب قديماً وحديثاً (1)

سادتي :

لم تقف همة أجدادنا العظام وسلفنا الصالح عند تأسيس المدارس وتشييد بنائها ، بل انهم ذللوا كل عقبة تعوق عن تحصيل العلم وتحول دون الورود إلى مناهله واجتناء ثمراته .

وقد وجدوا أن من أعظم الوسائل لرفع منار العلوم ونشر ألوية المعارف ، تأسيس خزائن الكتب في المدارس التي أنشأوها وتنظيم شؤونهـا واسنادها إلى أهل الفضل وذوي المعرفة والخبرة بها . فأخذوا في التباري في هذا المضمار ، وتسابقوا في حلبة هذا الميدان ، ووقفوا من الكتب على اختلاف العلوم والفنون ما لو بقي إلى الآن لعد بالملايين .

غير أن الحوادث والمصائب العظمى التي حلت بالإسلام في كثير من الأقطار شتتت شمل هذه الخزائن ومزقتها كل ممزق ، ولما انتبه العالم الغربي

---

(1) مجلة المجمع : ألقى الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو مجمعنا العلمي هذه المحاضرة النفيسة في حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب ، ويرى القارئ وصف هذه الحفلة في باب الآراء والأفكار من هذا الجزء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان في طليعة أعماله أن وجه نظره وهمته إلى الاستحواذ على هذه الكتب بشتى الوسائل فتم له ما أراد ، وأنشأ في العواصم الاوروبية وغيرها مكاتب حافلة اشتملت على آلاف من الكتب العربية والفارسية والتركية ، وكثير منها من النوادر التي لا تجد منها شيئاً في بلاد الشرق ، وأكبوا على ترجمتها ونشرها والاستفادة منها وما زالوا دائبين على ذلك الى وقتنا هذا .

ولو أردنا أن نذكر المكاتب التي شيدها سلاطين المسلمين وأمراؤهم وعلماؤهم وذوو اليسار منهم في مختلف الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب لاحتجنا إلى مؤلف حافل ، غير أنا بمناسبة الاحتفال في هـذا اليوم بافتتاح دار الكتب الوطنية التي هي فرع المجمع العلمي العربي في دمشق احببنا أن نقتصر بمحاضرتنا هذه على ذكر دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً ، ومنها يعلم أن الشهباء كانت غنية بهذه الذخائر الثمينة جارت غيرها من البلاد العربية الكبيرة ، ولاريب أن دور الكتب في الأمم هي مقياس رقيها وعنوان تقدمها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرشدنا التاريخ الى أن حركة العلم والادب كانت في القرن الاول والثاني ضعيفة في حلب وما حولها الا أنها أخذت تنقوى في القرن الثالث للهجرة ، فقد ظهر فيها وفيما حولها حفاظ في الحديث ونبغاء في الأدب ، وحسبك من هؤلاء الوليد بن عبيد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٤

وكانت حلب في ذلك الوقت قد أخذت بحظ وافر من العمران وازدحمت بالسكان فتطاولت اليها أعناق الملوك والامراء ومن جملتهم سيف الدولة بن حمدان انهض اليها بجيشه واستولى عليها وذلك سنة ١٣٣٣ ومن ذلك الحين عظمت الحركة العلمية فيها وقامت دولة الادب ، وذلك لما كان عليه سيف الدولة من العلم والفضل واغداقه الاموال الطائلة على العلماء والأدباء وصارت الشهباء في عهده محط الرحال وموئلا لمظام الرجال ، وأسس فيها مكتبة عظيمة عنها انبعثت أنوار العلوم وتفجرت ينابيع الفنون ومنها انتهل المتعطشون .

قال الحافظ الذهبي في تاريخه : كان في خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره ، وكان من جملة المتولين على هذه

الخزانة ثابت بن أسلم الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠ فألف كتاباً في كشف عوار الاسماعيلية فحمل الى صاحب مصر فصلبه وأحرقت تلك الخزانة .

وقال الإمام الكبير والوزير الخطير عمر بن العديم في كتابه الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري الذي نشرناه على نقص قليل فيه في الجزء الرابع من تاريخنا (أعلام النبلاء) : وكان بحلب خزانة كتب في الشرقية التي بجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم ، واتفقت فتنة في بعض أيام عاشوراء بين أهل السنة والشيعة ، ونهبت خزانة الكتب وكان ذلك في زمن أبي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب إلا القليل ، وجدد الكتب فيها بعد ذلك الوزير ابو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً أخر بها ، وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الشاعر المشهور مؤلف كتاب سر الفصاحة الذي طبع حديثاً في مصر) هذه الخزانة في قصيدته الثائية التي كتبها من القسطنطينية بداعب أحد أصدقائه بها قال فيها :

أبلغ أبا الحسن السلام وقل له   هذا . الجفاء عداوة للشيعة
فلأطرقن بما صنعت مكابراً   وأبث ما لا قيت منك ابنكة
ولأجلسنك للقضية بيننا   في يوم عاشوراء بالشرقية
حتى أثير عليك فيها فتنة   تنسيك يوم خزانة الصوفية

وهذا أبو الحسن سالم بن علي بن تميم الفقيه الكفرطابي المعروف بالحامي ، وكان من فضلاء حلب وكان سني المذهب وابو محمد الخفاجي شيعي وكان بينهما مودة ومكاتبة وبنكة من غوغاء الشيعة . ثم ذكر الصاحب ابن العديم ما يفيد أن أبا العلاء المعري كان يغشى هذه المكتبة في تردده الى حلب .

ماذا حصل في هذه المكتبة بعد ذلك

قال ابن خلكان في تاريخه في ترجمة أبي السعادات المعروف بالمسعودي: حكي أبو البركات الهاشمي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين الى

حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودي المذكور الى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الموقوفة واختار منهـا جملة أخذها ، لم يمنعه منها مانع ، ولقد رأيته وهو يحشوها في عدل ، وهذه الحادثة مما يؤاخذ عليها السلطان صلاح الدين رحمه الله .

ثم أسس بعد ذلك في أواسط القرن السابع القاضي الاكرم جمال الدين يوسف بن ابراهيم وزير حلب دار كتب بحلب وجمع بها ما لا يوصف ، وكان هذا القاضي الوزير من غواة الكتب ومن عشاقها المتفانين في حبها .

قال ياقوت في معجم الادباء : وكان القاضي الاكرم جماعة للكتب حريصاً عليها جداً لم أر مع اشتغالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد ، وكان مقيماً بحلب (وبها توفي سنة ست وأربعين وستماية)

وقال ابن شاكر في تاريخه فوات الوفيات في ترجمة القاضي الاكرم : وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوي خمسين الف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب .

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين (في جزء منه هو الآن من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب) في ترجمة القاضي الاكرم : وله حكايات عجيبة في غرامه بالكتب ، منها أنه وقع له نسخة مليحة من كتاب الانساب لابن السمعاني بخطه يعوزها مجلد من أصل خمسة ، لم يزل يبحث عنه ويطلبه من مظانه فلم يحصل له ، فبعد أيام اجتاز بعض من يعرفه بسوق القلانسيين ، فوجدوا أوراقاً منه فأحضرها اليه وذكر القصة ، فأحضر الصانع وسأله عنه فقال : اشتريته في جملة أوراق وعملته قوالب للقلانس ، فحدث عنده من الهم والغم والوجوم ما لا يمكن التعبير عنه ، حتى أنه بقي أياماً لا يركب الى القلعة وقطع جلوسه ، وأحضر من ندب على الكتاب كما يندب على الميت المفقود

المؤيس منه ، وحضر عنده الاعيان يسلونه كما يسلى من فقد له عزيز . والحكايات الدالة على عشقه الكتب كثيرة . اهـ

وكتاب الانساب هذا كتاب عظيم في هذا الفن ذكره ابن خلكان في ترجمة مؤلفه عبد الكريم بن محمد المروزي وانه في ثمان مجلدات وقد اختصره عز الدين بن الاثير في ثلاث مجلدات والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والاصل قليل الوجود . قال ذلك عنه ابن خلكان وهو من اهل القرن السابع . وهذا الكتاب يحتاج اليه مزاولو علم الحديث والتاريخ والادب والجغرافية فانه يوقفك على الصواب من اسماء الرجال والبقاع الى غير ذلك من الفوائد ، يوجد الان منه نسخة نفيسة في مكتبة كوپريلي زاده محمد باشا في الاستانة رقمها ١٠١٠ . وقد سبقنا الالمانيون الى طبع هذا السفر النفيس عندهم بالفوتوغراف (المصور الشمسي) وجاء منه نسخة الى حلب الى بعض باعة الكتب بيعت آخراً على ما اظن الى مكتبة المدرسة الحلاوية ، ولا أدري أطبعه الالمانيون على هذه النسخة الموجودة في الاستانة ام على غيرها ، وعلى كل فان نسخة الاصلية نادرة الوجود .

ومن جملة المكاتب المفيدة التي اسست في حلب مكتبة العلامة شرف الدين الشيخ عبد الرحمن العجمي باني المدرسة الشرفية وراء الجامع الكبير واشتهرت عند الناس بالاشرفية وهو خطأ ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستمائة في وقعة التتر لما دخلوا حلب .

قال مترجمه : وقد وقف الواقف رحمه الله تعالى على هذه المدرسة الكتب النفيسة من كل فن من حديث وتفسير وفقه ونحو وغير ذلك ، فمن كتبها مسند الامام الشافعي والأم وجميع كتب الامام الشافعي وكتب الاصحاب كتفسير الثعلبي وغيره من التفاسير وكالنهاية والحاوي الكبير والابانة والتتمة والذخائر والشامل ، (الى ان قال) وكان بها اربعون نسخة من التنبيه وجميع كتب الغزالي وكانت اسماء الكتب مثبتة عند اقاربه في درج كبير فذهب في محنة تيمور .

ومن دور الكتب في حلب جامع منكلي بغا المعروف الان بجامع الرومي في محلة باب قنسرين أُنشىء هذا الجامع سنة سبع وستين وسبعماية هجرية .

قال أبو ذر في تاريخه كنوز الذهب : ووقف منكلي بغا كتباً نفيسة لهذا الجامع ومنها التفسير للقرطبي والتبصرة لابن الجوزي ومجمع الاحباب للحسيني وغير ذلك من الكتب النفائس وقد ذهب نصف مجمع الاحباب و كان كله في مجلدين فذهب مجلد واحد وهو كتاب جليل ترجم فيه الاولياء والعلماء وتكلم فيه على طريق الصوفية ، ووضع الكتب في خزائن الجامع المذكور . وهذه الخزائن متقنة محكمة فيها الصنائع العظيمة على طريق النجارين وبلغني ان الشيخ فربكا وهو من الصالحين كان نجار ذلك.

والان لا خزائن هناك ولا كتب وقد رأيت منها تفسير القرطبي في بعض البيوت وهو في (١١) مجلداً من اصل خمسة عشر وقد بيعت هذه المجلدات منذ عهد قريب ، ويغلب على الظن ان هذه النسخة النفيسة اصبحت الان في خزائن المكاتب الغربية .

ومن دور الكتب دار الحديث التي أمر ببنائها أحمد مطاف باشا من غلة دراهم قدرها عشرة آلاف دينار ذهباً وقفها في سبيل الخيرات وكتاب هذا الوقف محرر سنة ١٠٠٤ ، ودار الحديث هذه كانت شرقي تربة الواقف الكائنة في محلة الجلوم الملاصقة للخان المعروف بخان المطاف ، وقد ذكر في كتاب وقفه ثمانين كتاباً خطياً وقفها على دار الحديث هذه ، وهي كتب متنوعة من جملتها جلدان من لسان العرب وصل فيهما الى حرف الراء وقد تبعثرت هذه الكتب واستبدلت هذه الدار بدار في محلة وراء الجامع دعيت بدار الحديث أيضاً لكنها في عداد المدارس المعطلة التي لا تستفيد منها الامة .

هذا ما عثرت عليه في هذه العجالة من دور الكتب في الشهباء قبل الالف ، وكلها أصبحت أثراً بعد عين ونحن نلقي تبعة ذلك على أمراء ذلك العصر وعلمائه فانه لولا تهاونهم وسكوتهم لحفظ الى هذا الوقت ذلك التراث المجيد ولكنا نقتطف منه ثماراً يانعة ولكن الى الله المشتكى .

ما أنشئ من دور الكتب بعد الالف

من أعيان الشهباء في أوائل القرن الحادي عشر رجل يقال له الشيخ أحمد

القاري وكان خليفة للشيخ ابي بكر صاحب المزار المشهور الذي يعد اليوم في جملة آثار حلب القديمة وهو شرقي حلب الى شماليها .

وكان هذا الرجل ذا تدبير وحسن رأي وصلاح ومعرفة وسخاء يد محبوباً الى الامراء الذين يردون حلب والى الاهلين فأغدقت عليه الاموال ، فبنى تلك التكية المعروفة الى اليوم بتكية الشيخ ابي بكر ووقف لها عقارات ومزارع ونظم امورها على ما يطلبه ذلك العصر ، ومن جملة ما أسسه فيها مكتبة قيمة فيها مختلف العلوم والفنون إلا انها كانت كغيرها عرضة للناهبين ومنذ عشر سنين كان فيها بقية قليلة في خزانة تجاه ضريح الشيخ أبي بكر ، ورأيت في جملة هذه البقية مصحفاً كريماً على جميعه بالذهب وربعة أي أجزاء من القرآن العظيم وكل جزء منه محلى كذلك ، ولا أكون مبالغاً اذا قلت لكم ان هذا المصحف وتلك الاجزاء تساوي اكثر من ٣٠٠ ليرة ذهبية وقد فقد ذلك كله ، وتلك البقية من الكتب استلمتها دائرة الاوقاف منذ سنين قلائل وأضافتها الى كتب مكتبتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الرجل هو الشيخ أحمد القاري وقف كتباً قيمة أيضاً على التكية المولوية ، وهي مما بني في اواسط القرن العاشر وكان هو مولوياً أيضاً ، وأظن ان هناك اشخاصاً آخرين ممن تولوا أمر هذه التكية وقفوا فيها كتباً كثيرة إلا انها ايضاً كانت معرضة للنهب لعدم انتظام أمرها ففقد منها الكثير ، وفي فهرست كتبها الاخيرة عدد الكتب يناهز ١٢٠٠ ولما أحصتها دائرة الاوقاف بلغت ٩٥٠ كتاباً ، الا ان المهم من هذه المكتبة لا يزيد على خمسين كتاباً وهي اليوم بحالة لا يستفاد منها مطلقاً وذلك مما يؤسف له ، وقد قلنا ان تبعة ذلك ملقاة على عاتق امراء حلب وعلمائها فهم المسؤولون عن ذلك كله (فكلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) .

وفي القرن الثاني عشر في اواسطه وأواخره أسس في الشهباء خمس مكاتب الاولى أسسها أحمد افندي طه زاده وتعرف اليوم بالمكتبة الاحمدية وهي في مدرسته التي أنشأها في محلة الجلوم ، تحوي الفا واربعماية وخمسين كتاباً تبلغ

ثلاثة آلاف مجلدة كلها مخطوطة ، وفيها الكثير من النفائس ، وبالرغم عن تشديد الواقف في أمرها فانها لم تسلم من ايدي العابثين وعلى ما اقدر انها نقصت من حين إنشائها الى الان نحو ١٥٠ كتابا منها نحو الاربعين فقدت منذ خمسين سنة الى الان ، وهي بالنسبة الى غيرها تعد محفوظة بالجملة . ومن جملة نفائسها اسطرلاب نحاسي بديع الصنعة محكم لا تقل قيمته عن خمسين ليرة ذهبية ، وفيها كرتان قديمتان من صنع اوربة الواحدة سماوية والاخرى ارضية بلغني ان زائرة ايطالية عالمة بالآثار اكدت ان هاتين الكرتين قل ان تجد كرة معاصرة لها في المتاحف الاوربية .

الثانية : اسسها المرحوم عثمان باشا الدوركي باني المدرسة العثمانية واضاف اليها المرحوم تقي الدين باشا المدرس الحلبي كتبا مخطوطة ومطبوعة وذلك في اوائل هذا القرن ، وفيها من وقف هذين المظيمين كتب من النفاسة بمكان ولم تسلم ايضاً من الايدي الاثيمة لعدم انتظام امر قوامها ، وبعض هذه الكتب لقلة الاهتمام بها اصابها الامطار فالتصقت اوراقها بعضها ببعض ، والخلاصة ان الخلل في هذه المكتبة ليس اقل من الخلل الواقع في اوقافها وهذا مشاهد معلوم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثالثة : اسسها المرحوم احمد افندي الكواكبي في مدرسته التي انشأها في الجلوم ، وكانت لا تقل اهمية عن المكتبة الاحمدية ، وقد بددت كلها وبعض اجزاء منها آل الى مكتبة الاوقاف العامة ، وقد كان فيها عدة كتب هي من تأليف بني الكواكبي منها ذيل في تراجم الرجال لمحمد افندي الكواكبي ورحلة نفيسة الى احمد افندي الكواكبي جد احمد افندي الواقف .

الرابعة : مكتبة اسسها الشيخ محمد البخشي شيخ سجادة التكية الاخلاصية في محلة البياضة ، وزاد فيها بعد ذلك الشيخ ابو الوفا الرفاعي جد بني الرفاعي القاطنين بها الان ، ولم تسلم كغيرها من المكاتب بل امتدت اليها بعض الايدي ولم يزل منها جملة حسنة في خزانة آل الرفاعي ، وهي غنية بكتب الحديث والرجال وفيها ما لا يوجد في غيرها ، وقد كنت نشرت نفائسها في مجلة مجمعنا العلمي العربي .

الخامسة : المكتبة المارونية ، وهي في دار البطريركية المارونية ، وكون تأسيسها منذ قرنين أقوله ظناً لا يقيناً .

وفيها من النفائس في كتب الادب : مباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد ابن ابراهيم الانصاري المعروف بالوطواط المتوفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ومن هذا الكتاب عدة نسخ في الاستانة وهو جدير بالطبع .

وفي القرن الثالث عشر انشئ في المدرسة الهائية المعروفة بالصلاحية ايضا مكتبة فيها الان نحو ٧٠ كتابا ، وكذلك في المدرسة المنصورية في محلة الفرافرة انشأها الشيخ منصور السرميني وقد تبعثرت واحضرت البقية الباقية منها سنة ١٣٤٥ الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة أنشأها اسماعيل باشا واقف المدرسة الاسماعيلية في مدرسته ، وقد بقي منها بقية أحضرت أيضاً إلى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة جامع السكاكيني في محلة القصيلة بقي منها بقية أحضرت الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة المدرسة العرثمانية في محلة محمد بك في باب النيرب عند بني الباونجي لم يزل منها بقية إلى اليوم .

ومكتبة في المدرسة القرناصية في محلة الفرافرة بددت أيضاً وأصبحت في خبر كان .

ما أسس من المكاتب في هذا القرن

مكتبتان هامتان وقفهما رجلان جليلان في هذا القرن :

الاولى : مكتبة وقفها محمود أفندي الجزار ، وضعت بعد وفاته في الجامع الكبير .

والثانية : مكتبة الحاج عبد القادر الجابري بقيت في بيته بعد وفاته ، ثم أحضرت المكتبتان منذ خمسة عشر عاماً إلى المدرسة الخسروية ثم نقلتا إلى المدرسة الشرفية التي تقدم ذكرها ، وأضيف اليها ما تقدم ذكره من البقية الباقية في تكية الشيخ أبي بكر والمنصورية وجامع السكاكيني والمدرسة الاسماعيلية واشتريت لها بعض الكتب المطبوعة فتألف من ذلك مكتبة حسنة تابعة لإدارة

الأوقاف ، لكنها في حاجة كبرى إلى الزيادة مما طبع في مصر وأوربة وغيرها ليكون منها مكتبة حافلة يرتوي منها رواد مناهل العلم ، فعسى أن تلبي دائرة الاوقاف نداءنا وتضم لها في ميزانيتها كل سنة مقداراً حسناً يكون سبب نموها وانتظامها .

ومنذ سنوات وقف الشيخ أحمد الصديق رحمه الله كتباً مخطوطة ومطبوعة على مدرسة في محلة فارلق ولم تزل هناك إلى الآن .

وآخر مكتبة أسست في الشهباء هي مكتبة فرع المجمع العلمي العربي بدمشق وكان ذلك منذ أربعة عشر عاماً أرسل اليها المجمع من تأسيسها إلى الآن نحو ١٩٠٠ مجلد ، وفي هذه السنة أرسل اليها ١٢٠٠ كتاب فصار فيها جملة صالحة إلا أن المكان الذي كانت فيه وهو تلك الحجرة التي هي في الطابق العلوي في خان الكرك التابع لدائرة الاوقاف كان غير صالح لوضع مكتبة فيه وذلك لضيقه وعدم ارتفاع سقفه ، والانسان يضيق به ذرعاً بعد قعوده فيه قليلاً وتمتريه السآمة فيغادر المكان وهو لم يشف غليلا ، وأمكنة المطالعة يقتضي أن تكون فسيحة الارجاء مرتفعة السقف ينشرح لها الصدر وترتاح بها النفس ليكون ذلك سبباً للدأب في المطالعة والاسترسال فيها من غير ملل .

وطالما ذاكرت المجمع العلمي بدمشق وفي حلب عند حضور رئيسه وبعض أعضائه عن حالة هذا المكان فلم يجد ذلك شيئاً ، إلى أن عين محافظ حلب المحبوب الامير مصطفى الشهابي . فذاكرته في ذلك لاول زيارتي له في فندق بارون على اثر حضوره فوجدت منه أذناً صاغية وقلباً ملء شغفاً بهذه المشاريع التي فيها مستنار العقول وحياة البلاد .

ولم تقف همة المحافظ حفظه الله عند نقل هذه المكتبة من مكانها الضيق الى هذا المكان المتسع الجميل بل سعى لدى المجلس البلدي بأن يضع في ميزانيته مبلغاً وافراً في كل سنة ليبني داراً عظيمة للكتب ويبتاع منه ما يطبع في مصر وغيرها من الكتب العربية وغير العربية ليجد المطالع فيها جميع ما يحتاج إليه

وما يشفي غليله ، ولا ريب أن هذا العمل مأثرة كبرى لمحافظتنا يحفظها له التاريخ ويخلد له جميل الذكرى . والمجلس البلدي يكون في عمله هذا قد اقتدى بالمجالس البلدية في البلاد الأوروبية فان لها مكاتب عظيمة هي في تقدم مستمر .

ولم نسمع في الشرق لمجالس البلدية مكتبة إلا المجلس البلدي في الاسكندرية فان له مكتبة قيمة اشتملت على آلاف من المخطوطات والمطبوعات وهو في كل سنة يزيد في عددها وتنظيمها .

فإذا أبرز المجلس البلدي في حلب هذا المشروع لحيز الوجود وقام بهذا العمل المجيد يكون المجلس الثاني الذي قام في الشرق بأمثال هذه المشاريع النافعة للبلاد ، وهو الاول من نوعه في البلاد الشامية .

والذي نرجوه من المجلس البلدي ومن دائرة الاوقاف إذا أحبا أن يكون لنا مكاتب تدر بالفائدة الكبرى على هذه البلاد أن لا يقتصرا على ابتياع ما طبع وما يطبع فحسب بل عليهما أن يأخذا ما تعظم الفائدة به من آثار أسلافنا التي تسربت إلى مكاتب الغرب والاستانة ومصر بالمصور الشمسي ويستردا بضاعتنا الينا .

وأهم هذه الآثار بالنسبة إلى حلب بل الى بلادنا الشامية جميعها ذلك التاريخ العظيم وهو « بغية الطلب في تاريخ حلب » للامام الكبير والوزير الخطير والمؤرخ الشهير الشاعر الناثر ذي الخط الجميل الذي ضرب به المثل ونوه به شعراء عصره كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ وقد أفردت لهذا الرجل العظيم ولتاريخه كتاباً خاصاً في سبعين صحيفة .

ومعظم تاريخه بخطه في ثمان مجلدات في سراي طوب قبو في الاستانة وجزء منه في لوندرة وجزء في باريس وثلاثة أجزاء في مكتبة أيا صوفية في الاستانة وهي بخطه أيضاً وقد سبقتنا الحكومة المصرية الى أخذ هذه الاجزاء بالمصور الشمسي ، وقد كان المرحوم أحمد زكي باشا أرسل لي سبع أوراق أخذها عن

النسخة المصرية وها هي أعرضها على أنظاركم الكريمة ، وجزء من هذا التاريخ العظيم في إحدى مكاتب الموصل قد استنسخناه وفيه ترجمة نحو عشرين شاعراً من شعراء المعرة قل منا من يعرف واحداً منهم الى غير ذلك من الفوائد التي اشتمل عليها هذا الجزء وما هو بين أيديكم ، وباسترداد هذا الكتاب وأمثاله مما نحن في حاجة اليه وإبرازه لعالم المطبوعات نزداد علماً بمجد آبائنا ومعرفة ببلادنا الشامية وما دثر منها والاحوال المدنية والعمرانية التي كانت عليها ؛ ونقف على ما أنبتته من الرجال وما قاموا به من جليل الاعمال وما خلدوه من الآثار الى غير ذلك من جلي الفوائد وعظيم العوائد ، وذلك ولا ريب من أعظم البواعث لنهضتنا واستيقاظنا من رقدتنا ، واسترجاع سالف عزنا ومجدنا ، والله الموفق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

في ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦

في ٢٦ تموز سنة ١٩٣٧

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد راغب الطباخ

آراء وأخبار

وفاة
السيد مصطفى صادق الرافعي عضو المجمع العلمي العربي

ينعى المجمع العلمي الى أعضائه أخاه الاديب العربي الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي الذي استأثر به ربه يوم الاثنين من شهر صفر المنصرم ١٣٥٦ ١٠ — ٥ — ٣٧ ، وقد انتخبه المجمع العلمي عضواً مراسلا سنة ١٩٢٨ وهو من أعلام العرب في العلم والأدب قضى حياته في خدمة لغته وآدابها شعراً ونثراً في الصحف والمجلات والمصنفات الممتعة ، فهو من زعماء الانشاء المحافظين على أسلوب البلغاء الابيناء من السلف ، وبذلك عاش من الكرام الكاتبين الذين ارتقت بهم الكتابة ، فقربت اللغة من بيان العرب بمقدار ما تجافت بها عن مفاجع العجمة وستؤبنه المجلة تأبيناً مفصلاً في الجزء التالي طاب ثراه ، ورحمه الله .

أغلاط دائرة المعارف الاسلامية

اطلعت في العدد التاسع من المجلد الثاني من دائرة المعارف الاسلامية المعربة حديثاً بمصر على ترجمة السيد محمد الآلوسي المفسر الشهير وهي من إنشاء الدكتور بروكلمان المستشرق المعروف ، وقد وجدت فيها غلطات تاريخية

لذلك أحببت أن ألاحظ على كاتبها، وليس لي من قصد غير خدمة العلم؛ قال الدكتور بروكلمان:

«ولد الآلوسي عام ١٢١٨ هجرية»، والصحيح أن ميلاده في سنة ١٢١٧ هجرية مثلما هو مذكور في ترجمته في كتابه المسمى بكشف الطرة عن الغرة نقلاً عن كتاب جلاء العينين في محاكمة الاحمدين تأليف نجل المترجم — ثم قال: «إن الآلوسي تنازع هو والباشا التركي (يعني والي بغداد) ورغب أن يدافع عن نفسه وعن حقوقه في عاصمة الدولة العلية، فرحل اليها في جمادى عام ١٢٦٧ هجرية وبلغ صامسون بعد أن مرّ بالموصل وديار بكر ثم ركب البحر الى الاستانة، ولما لم يقابله الصدر الاعظم بما هو أهله عاد أدراجه الى موطنه دون أن يحقق غرضه» هذا أيضاً خلاف الواقع إذ الآلوسي نفسه ذكر في رحلته التي سماها «نزهة الالباب وغرائب الاغتراب» اجتماعه بالصدر الاعظم رشيد باشا وذلك بواسطة شيخ الاسلام حينئذ عارف حكمة، وقد قابله الصدر بما يليق بمقامه من التجلة والاحترام وقضى له مآربه وأغراضه كلها وقد رجع من عنده وهو يلهج بالثناء عليه وعلى شيخ الاسلام المذكور — ثم قال الكاتب: «وقد كتب أحد أقربائه واسمه نعمان خير الدين الآلوسي وكان يقطن كذلك في بغداد دفاعاً عن ابن تيمية عنوانه جلاء العينين في محاكمة الاحمدين (بلاق عام ١٢٩٨) ذكر الكاتب ان مؤلف الكتاب المذكور هو أحد أقرباء الآلوسي بل الصحيح انه نجل السيد محمود الآلوسي المترجم؛ وذكر الكاتب أيضاً أن مصنفه المذكور مطبوع في بلاق عام ١٢٩٨ وهذا تحريف من الكاتب والصحيح بولاق كما ذكره العلامة مؤرخ مصر تقي الدين المقريزي في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والسيوطي في حسن المحاضرة وكما هو مشهور عند العامة فضلا عن الخاصة، ثم ذكر الدكتور بروكلمان ان تفسير الآلوسي المسمى بروح المعاني طبع في ثمانية اجزاء بمطبعة بلاق فيما بين عامي ١٣٠١ و١٣١٠ هـ» والحقيقة ان تفسيره طبع بمطبعة بولاق في تسع مجلدات ضخمة لا في ثمانية اجزاء، وقد وهم أيضاً في قوله: بين عامي ١٣٠١ — ١٣١٠ بصيغة المثنى، والحال ان مدة استغراق

طبع التفسير المذكور كانت تسع سنوات فكان الاصح ان يقال بين أعوام كذا أو بين سنيّ كذا ·

طرابلس الغرب : على محمد الفقيه حسن

رجاء

الى أعلام العربية والاستشراق

رجعتُ في معنى (الميرار) الذي عده المرزوقي في كتابه (الأزمنة والامكنة) من جملة بيوع العرب في الجاهلية إلى المعاجم الاتية :

١— تاج العروس (شرح القاموس) ·
٢— لسان العرب لابن منظور ·
٣— الصحاح للجوهري ·
٤— المجمل لابن فارس (نسخة مخطوطة كاملة في المكتبة الظاهرية) ·
٥ — الجمهرة لابن دريد ·
٦— الفائق للزمخشري ·
٧— أساس البلاغة ·
٨ - النهاية لابن الاثير ·
٩— المصباح المنير ·
١٠— المخصص لابن سيده ·
١١— التهذيب للازهري (نسخة مخطوطة في المكتبة الاحمدية بحلب) ·

ثم تحريت في شروح الحديث وكتب الفقه ، مظنة أن أجد فيها تعرضاً له في صدد كلام عن البيوع الفاسدة أو النهي عنها فلم أجد أحداً من أصحاب المراجع المذكورة قد ذكر هذا الضرب من البيع ، ولم يتعرض له غير صاحب محيط المحيط (وقد روينا عبارته) ولم أهتد بعد الى المصدر الذي استقى منه هذا التفسير ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالمرجو من علماء العربية عن عندهم معاجم مخطوطة أو مطبوعة إذا عثروا على النص الموثوق في ذكر بيع السرار ان يتكرموا فيوافوني بالبيان الشافي عن طريق المجمع العلمي العربي بدمشق ولهم الشكر الجزيل ·

غرة صفر سنة ١٣٥٦

سعيد الافغاني

حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب

عشية الاربعاء الواقعة في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦ (٢٧ تموز ١٩٣٧) أقيمت في عاصمة بني حمدان حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية ، وقد ضمت جمهوراً من العلماء والاعيان ورجال الصحافة ·

وعند افتتاح الحفلة ألقى الاستاذ سامي الكيالي كلمة مفيدة عن دار الكتب ومساهمة دار الامانة (البلدية) في إخراج هذه الخزانة من سجنها القديم ، ثم القى الشيخ علي الكحال قيم خزانة الاوقاف كلمة عن خطورة الكتب ومكانتها عند الامم العربية والغربية ، ثم أنشد الاديب شارل الخوري قصيدة في الموضوع ، وعلى أثره نهض مؤرخ الشهباء ومدير المدارس العلمية فيها الشيخ محمد راغب الطباخ وألقى كلمة ممتعة عن خزائن الكتب الحلبية وعن تسابق الحلبيين في اقتناء نفائس الكتب وإنشاء الخزائن لها ، ولم ينس الاستاذ الفاضل وهو من أعضاء مجمعنا العلمي ، ان ينوّه بشأن المجمع العلمي ويذكر يده البيضاء في تنشيط العلم والعلماء في حلب وذلك بانشاء فرع له فيها يضم أفاضل علماء الشهباء ، وبانشاء خزانة كتب تشتمل على نفائس الاسفار ·

وبعد ان القى الاستاذ الطباخ محاضرته التي نشرناها في هذا الجزء ألقى محافظ حلب وعضو مجمعنا العلمي الامير مصطفى الشهابي كلمة وجيزة قال فيها : « نحن هنا في حرم الادب بعيدون عن السياسة والتحزبات وضوضائها المتنعمة » · ثم قال : ليس الفضل لي وحدي في إحياء هذه المكتبة بل لرئيس البلدية والمجلس

البلدي واعضاء فرع المجمع العلمي في حلب ، وهم الذين عطفوا على هذا المشروع العلمي وساهموا في إحيائه ، والذي أرجو ان يوفقنا الله لتحقيقه ذلك القرار الذى اتخذه المجلس البلدي بفتح اعتماد بعشرة آلاف ليرة سورية في موازنة بلدية حلب لانشاء دار كبيرة للكتب وردهة لالقاء المحاضرات .

وذكر انه أخذ وعداً صادقاً من الاستاذ سعدالله الجابري وزير الداخلية بأن يضع في موازنة المعارف لعام ١٩٣٨ عشرة آلاف ليرة سورية لهذا المشروع ايضاً .

والفضل الذي يعود لمحافظ حلب ، وهو عضو مجمعنا العلمي ، يعود بالتالي للمجمع العلمي نفسه ، فهو الذي أنشأ خزانة الكتب الحلبية ، وقام بنفقات موظفيها مدة أربعة عشر سنة ، ولا يزال بها قائماً ، وأمدها بنفائس الكتب ، وآخر ما أرسله هدية اليها الف ومائتان من المجلدات .

ولقد كان في نية المجمع عند توفر المال ان ينقل خزانته الحلبية الى دار فخمة في سرة المدينة تليق بمكانة العلماء وبتاريخ الشهباء وقد كتبت أمانة سر المجمع الى الحكومة بذلك مراراً ، ومحافظ حلب آخر من راسلته في ذلك فالحمد لله الذي قدّر للمجمع العلمي على يد أعضائه ان يرفع من شأن خزانة الشهباء ، وان يجعلها مثابة للناس وينتفع بها العلماء والادباء .

مطبوعات حديثة

السيد رشيد رضا

او إخاء اربعين سنة

تأليف

الامير شكيب ارسلان من اعضاء المجمع العلمي العربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٣٥٦ / ١٩٣٧

إن الحلية الخاصة التي تحلى هذا الكتاب بها هي سجية الوفاء للاصدقاء ، وهي الصفة التي امتاز بها مؤلف هذه السيرة الممتعة الأمير شكيب أرسلان ، لانها تشتمل على نحو الف صفحة في ذكر مناقب السيد رشيد رضا الذي يقول عنه الامير في المقدمة ما نصه : « وبعد هذا فلا شك في أنه إذا وزن عمل كل من أعيان هذا العصر بل من أعيان كل عصر كان السيد الامام محمد رشيد رضا من أرجحهم ميزاناً ، وأوفاهم قسطاً لا يجحد ذلك الا من رانت عليه الضلالة أو أعماه الغرض ؛ وإني لأجد نشر مناقبه والتنويه بقدره والاشادة بحسناته الكثيرة والانارة لبراهينه الساطعة من عزائم الله الموجبة وفرائضه المبرمة عملا بقوله تعالى : وزنوا بالقسطاس المستقيم » .

ان سير العظماء تشبه قصائد الرثاء ، ووجه الشبه بينهما ان مؤلفي هذين الصنفين لم يقصدوا من ورائهما جزاءاً ولا شكورا ، فهما آيتان ناطقتان بالوفاء من آيات الثناء ، وجانب الخسارة المادية في كتابة السير يغلب في معظم الاعيان جانب الربح ، فالدلالة على وفاء الامير لصديقه أدبية ومادية معاً ، وقد أشاد بفضائله حياً وميتاً في كتاب حاضر العالم الإسلامي واعاد ما نشره فيه في الصفحة ١٤ من هذه السيرة تحت عنوان (ما قلته في السيد رشيد) .

وقد جمع الامير في تاريخ الاستاذ الرشيد جميع ماله علاقة بها فمن تقريظ الامير للوحي المحمدي الى مقدمة السيد رشيد لكتاب الارتسامات اللطاف ، الى ما كتبه في المنار عن حديثهما مع أعضاء جمعية الامم ، وعن وفد الصلح والسلام ؛ ومن جملة فصول هذه السيرة ما قيل في السيد الرشيد عند وفاته في الجرائد والمجلات ، أو ما ألقي في الحفلات .

وفي السيرة كثير من الابحاث التاريخية السياسية منها بحث المشانق العربية التي نصبها الطاغية جمال باشا في دمشق وبيروت ، و كيف غدر بالسيد عبد الحميد الزهراوي ، واستحضره الى المحاكمة في الديوان العرفي بعالية بعد أن كان من أعضاء مجلس الأعيان ، وقد أراد الزهراوي رحمه الله أن يقدم جمالا بيراءته ويستل سخيمة صدره وذكّره بما كان بينهما من عهد فقال له : إنه ليس له مدخل في الامر وانه لن يصيبه أذى إذا كان الديوان العرفي يحكم ببراءته ، قال الأمير : وحقيقة الحال أنه كان من البداية ينوي البطش به ، وقد كنت بذلتُ كل مافي وسعي لأجل إنقاذه وإنقاذ زعماء السوريين الذين ساقهم جمال الى المشنقة برأيه الافين لامر يريده الله ، وتكلمت مع أنور عندما زار سورية خفية عن جمال ، واغضب ذلك جمالا ، ولم أبال غضبه ، وسعيت لدى قنصل المانية في دمشق سعياً حثيثاً بعد أن استحلفته على كتمان السر حتى يبرق إلى سفارة المانية في الآستانة لعلها تتوسط في الامر وتكفي الدولة شر الشقاق بين العرب والترك ... ولابد أن تكون الاوراق المحفوظة في سفارة المانية بالاستانة تشتمل على ما أفضيت به الى قنصلهم بدمشق ... الى ان يقول :

أما السيد رشيد فكان الاتراك دعوه الى التفاهم معهم وان يتولى منصباً شرعياً في الاستانة فخاف أن يكون ذلك استدراجاً وأبى قبول دعوتهم ولم يقع في الخطإ الذي وقع فيه الزهراوي عفا الله عنه .

لقد كان الامير شكيب من أشرف من كان حول جمال من رجال العرب دفع الله به كثيراً من الشر والاذى ، وما كان يدافع عن الدولة العثمانية الا دفاعاً عن العروبة والاسلام وخوفاً عليهما من مثل الانتداب والحماية والاستعمار وكان شبان العرب وأعضاء المنتدى الادبي في الاستانة لا يرضون عن هذه السياسة الشكيبية وهي سياسة اسلامية خالصة ، بل كنا نعدها انتصاراً للترك على العرب ، ولكنه كان مخلصاً في عقيدته ومشفقاً من الاستعمار على عروبته ، ولا أزال ذاكراً زيارتي له في الفندق مع الشهيدين عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى وسيف الدين الخطيب وقد قلنا له : ان العرب لا يطلبون سوى الاصلاح شيئاً ، وهل في طلبه عداء للترك او خلاف ، فأجابنا : ان هذا الطلب ، والدولة في جهاد واعداؤها بالمرصاد ، ليس شيئاً من التحدة والانصاف ، وقد أعرب في هذه السيرة عن فكرته هذه بقوله ص ١٥١ : « اذ كنت ممن لا يجيز المضي في الاختلافات الداخلية الى ذلك الحد الاقصى حينما يكون البلقانيون على أبواب الآستانة عاصمة الإسلام »

صورة مأثورة للامير شكيب العربي واخلاص منه لامة لا تبادله هذا الاخلاص ، ولو بقي العرب مع الترك يسفكون دماءهم الى آخر الحرب لما كان نصيبهم في هذه الايام غير نصيب الاكراد ، ولما كان لعمري جزاؤهم على ما أبلوه من البلاء الحسن غير التتريك والالحاد .

وقد جمع الله العرب أخيراً على معرفة هذه الحقيقة ، فإن الامير أمتع الله ببركات حياته يقول في حاشية له ص ٤٣٦ ما نصه : « بعد ان رأيت ما رأيت من جدم أنقرة للاسلام اقتنعت بأن خطر الافرنج على العرب أصبح أهون من خطر ملاحدة الترك . »

وقد علق الامير على هذه السيرة حواشي مفيدة سيرية وتاريخية وسياسية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولغوية وأدبية تذكّر بحواشي حاضر العالم الاسلامي التي فضلت متنها ، والحلة لا تحلى في العين مالم تستكمل حاشيتها وردنها ، ومن أين لي أن أحصي ما أفدته من مطالعة هذه السيرة المباركة ، لولا بعض هفوات من الطبع قلما خلا منها كتاب طبع في الشرق ، وقد تحدث والمطبعة دائرة كنقص بعض الحروف مثال ذلك ص ٤٣٤ حماه بالهاء وهي بالتاء المثناة ، أو كزيادتها نحو (فضله) ص ٤٣٩ في (فضّله) بالصاد المهملة ، وجاء في حاشية ص ٣٤٥ س ٧ (واقتصر صاحب المصباح) ولعل تتمة القول (على الدعارة) ، وفي الصفحة عينها و س ١٦ : القصية والصواب القصيا ، وأُنوث به أثاوة وإثابة ، والصواب بالتاء المثناة في الالفاظ الثلاثة كما في لسان العرب .

وجاء في صفحة ٤٤٣ : فتصل العجم غيرة الملك ولعله عين الملك ، وفي السطر الثالث من حاشية ص ٤٤٨ اللمي وصوابه اللخمي ، وفي ص ٤٨٩ : لكل مجتهد أجر إن أخطأ وأجر إن أصاب ، والصواب وأجران إن أصاب ، وفي ص ٤٩٣ : يحضون نار الشقاق ، والصواب يحضئون ، وفي ص ٥٨٠ : ما يناسب المعركة العجيبة الذي ذكرتموه ، والصواب التي ذكرتموها . وقد نشرنا هذه الهفوات قبل أن تطبع المطبعة فهرس التصويبات ولعلها تكون فيها ، فبارك الله بأمير البيان مؤلف هذه السيرة الطيبة ، وأعز به دولتي العرب والادب معاً ؟

التنوخي

ابن سينا

للأستاذ جميل صليبا

١٥٠ ص متوسطة — مطبعة ابن زيدون بدمشق

هذه هي الحلقة الخامسة من السلسلة الفلسفية التي يعنى بنشرها مكتب النشر العربي بدمشق الذي أثنينا في مجلتنا [1] على همة رجاله الثلاثة ونشاطهم في نشر عيون الآثار ، والحلقات الأربعة المتقدمة على هذه الحلقة هي : ابن خلدون والغزالي وابن طفيل للدكتورين جميل صليبا وكامل عياد ، والرابعة من افلاطون الى ابن سينا ، والخامسة ابن سينا التي نكتب عنها هذه الكلمة ، وكلتاهما للدكتور جميل صليبا رئيس التعليم الثانوي ومفتشه في وزارة المعارف .

الأستاذ جميل صليبا الحكيم « الدكتور » في الفلسفة من أفضل من أكملَ تحصيله في مدارس الغرب محافظةً على قوميته وغيرةً على دروس رجال سلفه الصالح ، ولم يكتف بمصطلحات الفلسفة في الفرنسية أو بما نشر في تعريبها في العربية والتركية ، فعكف على مطالعة كتب السلف في الفلسفة وفي علمي الكلام والتصوف ، وهما العلمان العربيان اللذان حضنا الفلسفة ، منقباً عما وضع علماؤنا من المصطلحات ومختاراً منها ما يدل تمام الدلالة على المعاني الفلسفية الحديثة ، ولذلك جاءت ترجماته ومؤلفاته في حلة عربية قشيبة لا تشوبها عجمة ، ولا تخفيها ظلمة ، لصحة تعبيرها وتوضيحها وتنويرها .

لا يكتب الاستاذ صليبا الا بعد أن يدرس ويحيط بموضوعه تحليلاً وتنقيباً او بعبارة أوضح بعد أن يفهم ما يدرس ويتمثله جيداً ، ولذلك يجيء ما يكتبه صحيحاً في معناه ومبناه ، فان ظلمة التعبير أثر من ظلمة التفكير ، وبحثه هذا عن « ابن سينا » دلالة واضحة على ذلك .

بدأ رسالته بتوطئة عامة ذكر فيها ابن سينا وانه لم يشتهر عند الاوروبيين

(١) انظر المجلد ١٤ صفحة ١٥٩

بشرح مذهب أرسطو اشتهار ابن رشد ، غير أن قيمته عند فلاسفة الإشراق أعظم من أن توصف ، وأن كتبه الطبية قد ترجمت الى اللغة اللاتينية كما ترجمت كتبه الفلسفية ، وبحث عمن عني من علماء أوروبة بفلسفته كغليوم الافربني والقديس توما دكينو وروجه باكون ، ثم بين المؤلف الفوارق بين الفلسفة الرشدية وفلسفة ابن سينا والفارابي وان فلسفتها مستمدة من الفلسفة الافلاطونية ، واستشهد المؤلف على احكامه الصحيحة بشواهد اقتبسها في الحواشي من كتب فلاسفة العرب كتهافت التهافت والشفاء ومنطق المشرقيين .

وابحاث الكتاب ممتعة تجلو كثيراً من غوامض ابن سينا حتى تكاد تمثل لك صورته بكثير من الوضوح ، كأبحاث حياته وآثاره وفلسفته ومصادرها العربية والاعجمية ، ومنها بحثه عن منطق ابن سينا في كتابه منطق للمشرقيين وعن رأيه في النفس مستخرجاً من كتبه الثلاثة النجاة والشفاء والاشارات .

وختم الحكيم جميل صليبا كتابه هذا ببحث (الاخلاق والتصوف في نظر ابن سينا) فبحث عن العناية واللذة في إدراك الكمال ولذة العارفين ومقاماتهم ورياضة المريد والوصول وصفات العارف الى غير ذلك من الرقائق واللطائف ، فجزاه الله عن فلسفة أمته العربية خيراً ، فقد كشف عن سرها وقدرها حق قدرها .

التنوخي

***

ديوان البراعم

٢١٥ صفحة ، بالمطبعة العلمية بحلب

الاستاذ عمر يحيى شاعر حماة انسان نبيل يمتاز بصفات سامية فهو كريم النفس مخلص في الود ، رقيق الحاشية ، دقيق الشعور ، تشجيه الكلمة الطيبة ، ويرقصه المعنى الجميل

اما علمه بالمكتبة الادبية فجد عظيم ، وما حفظه من دررها نظماً ونثراً اعظم ، قرأ كثيراً ، وحفظ كثيراً ، فلذلك ترى في شعره مسحة لا تراها في شعراء هذا الجيل فهو جزل ، متخير الالفاظ ، له قوة جعلت بعض من يدرسون شعره ينتقدونه ويحملون عليه ، وهذا في رأيي ما كان ينبغي ان يبكر هذا الشاعر من اجله ، فما احوجنا نحن الآن الى شعراء يحيون الاسلوب الجزل وينهجون نهج شاعر النيل حافظ — بل الله ثراه — في احياء اللغة الحرة الصحيحة وطرد الالفاظ السمجة والتراكيب الدخيلة المبتذلة .

واما معاني عمر فمنها العادي المطروق ومنها الثمين السامي ومن ارق شعره واسماه قوله في وداع غرناطة على لسان آخر ملوكها ابي عبد الله الصغير :

أطل المليك غداة الجلاء — على مجده والاماني الغرر
وراح يقلب في افقه الحبـ — ـب مجوناً تسيل الدرر
فراق ولا كفراق الشباب — وشجو يذوب لديه الحجر
يمد الى الدار كف الوداع — ويبكي فتبكي عليه الزمر
ليال تقضت عليها النعيم — يرف رفيف الخزامى سحر
وشوق مقيم اليها وأنى — تعود اصائلها والبكر
هنا السرو فوق قبور الجدود — وتبدو هناك مغاني السمر
و شنيل يجري حزين الخرير — كأن الزمان به قد أضر
على ضفتيه جنان الخلود — وفي حافتيه نعيم النظر
غياض تضوع ريحانها — وأزهر فيها ضياء القمر
عجبت لقلبي كيف انثنى — معي ولعقلي كيف استقر
امنت الزمان وحدثانه — ففاز العدو وأعيا الظفر
فلا تحقرن عدواً رماك — وإن كان في ساعديه قصر

ومن شعره الرقيق قوله في الناعورة وانينها ، وقد تفنن في ذلك كثيراً . وله شعر قومي قوي ينطق بما لعمر من متانة في عقيدته الوطنية وليس ادل على ذلك من قصيدته في فيصل وصالح قنباز ونكبة فلسطين .

اسعد طلس